الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبدالرحمان ميرة–بجاية
كلية الآداب واللغات

البعد السياسي وتشكلات المكان في رواية "محال" ليوسف زيدان

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين :

- بوقرين كهينة.
- بوزيد ليدية.

تحت اشراف الأستاذة:

- إدريس سامية

أعضاء لجنة المناقشة

ادريس سامية .....مشرفا

خيار نور الدين.....مناقشا

عقاق نورة.....رئيسا.

السنة الجامعية 2023/2022

شكر وعرفان

عملا بقوله تعالى: << قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يذكر أولو الألباب>> سورة الزمر الآية 9.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: << من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة>> رواه مسلم.

الحمد لله الذي وفقنا في إتمام هذا العمل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثم الشكر والتقدير للأستاذة "إدريس سامية" التي أشرفت على هذه الرسالة ولم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها.

كما نتوجه بالشكر للأستاذ " شيبان سعيد" الذي لم يبخل علينا ولو بكتاب فلك منا كل الدعاء بالنجاح والفلاح.

والشكر والامتنان لكافة الأسرة التربوية الذين عملوا على راحتنا وأماننا من عميد الكلية إلى الحارس.

الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل.

والله ولي التوفيق .

والصلاة والسلام على رسولنا الكريم

إهداء

أهدي ثواب هذا العمل إلى الذي أخذ بيدي إلى المدرسة في أول يوم لي إلى الذي وقف بجانبي في كل المحطات الهامة في حياتي أنت يا ابي، الرجل الحكيم والمثال الذي أعتز به واتطلع لأن أصبح مثلك يوما أنت الأب الحنون الذي لم يحظى به الجميع أنت المربي الرائع الذي لم تتركني أبدا في وحدتي كنت دعامة قوية في حياتي وعلمتني قيم النزاهة والأمانة والعمل الجاد أعرف أن كلماتي لن تكفي لكن أريد ان أشكرك على كل التضحيات التي قمت بها يامن تعمل صيفا وشتاءا لتطعمني وتكسيني يامن بفضله نمت وتطورت وأصبحت إنسانة التي أنا عليها اليوم، أبي الغالي، أنا فخورة لأني ابنتك وفخورة لأني أحمل اسمك، شـــــــكرا لـك يا غـالي، أحبـك.

إلى الحنون التي دللتني ورعتني طوال طفولتي وإلى يومنا هذا منذ ولادتي، ,أنا أشعر بحنان ودفء حضنك أنت مأمني لحظات خوفي أنت قوتي لحظات ضعفي أنا جزء منك وأفتخر لطالما كنت سعيدة عندما اخبرني احدهم أنني اشبهك، فضلك يا أمي لا يحد، لم تتوقفي يوما على تشجيعي وتحفيزي يا من آمنت بقدراتي، اعلمي أنني لو عشت حياتي لها لن ارد ربع من تعبك فهذا النجاح ليس ليي بل لك وابي شكرا لكما وحفضكم الرحمان ورعاكما.

إلى إخوتي "حسين" و "عبدالرؤوف" وإلى أختي الغالية.

شكرا لمساعدتكم ودعمكم شكرا لصبركم معي أحبكم.

لـيـــديـــة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة والسلام على النبي محمد الذي أرسل رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبة وذريته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

برز اهتمام النقاد بالروية العربية كونها جزء لا يتجزأ من تراث الأدب العربي، وكونها واحدة من أبرز أشكال الفن الروائي في العالم إذ تتميز بتنوعها الكبير في المواضيع والأساليب والأصوات، وقد شهدت تطورا مرموقا لم يسبق له مثيل على مر العصور، وبتطور اللغة العربية وظهور الكتابة، بدأ هذه الأخيرة تتشكل أكثر فأكثر لاسيما في العصور الوسطى تحت تأثير الأدب الفرسي والإسلامي حتى أصبحت مركزا للتجديد والابتكار الأدبي، إذ تناولت قضايا متنوعة استطاعت حصر مشاكل المجتمع وكسر طابوهاته كالحياة الاجتماعية، الثقافية، النفسية...

ضمن هذه الأمثلة وقع اختيارنا على رواية سياسية استقطبت العديد من الكتاب والدارسين من بينهم "يوسف زيدان" الذي سعى جاهدا التنويع فيها في كل مرة باعتماده على ظاهرة التخريب في أعماله فاستخدم أساليب سردية جديدة متنوعة، ونقل لنا الفعل الإنساني العفوي تارة والفعل التعسفي والقمعي تارة أخرى.

رواية "محال" ل "يوسف زيدان" من أكثر الروايات التي حازت على الاهتمام الواسع من قبل النقاد وكانت مجالا خصبا للعديد من القراء، بفضل إطارها التاريخي الذي مواضيع مهمة تعلقت بالدين والفلسفة والتاريخ، وبفضل أسلوبها الجميل والمعقد، وهي الرواية التي والف فيها "زيدان" (الواقع بالخيال) ، والحديث عن الواقع يقتضي وجود قيمة المكان الذي لا ينفصل عن الحقيقة.

فيحمل المكان دلالات متنوعة تربط الإنسان بواقعه المكاني فيؤثر كل منهما على الآخر، والمكان يساهم بصفة كبيرة في إغناء النص الرائي، وبعمق فهم القارئ للأحداث والشخصيات، فهو سلطان المكون السردية التي يخضع له ولقوانينه ومبادئه.

قد يرمز المكان في الرواية إلى الانتماء الثقافي والتاريخي للشخصيات والمجتمعات، وقد يكون مدينة أو منطقة جغرافية، وقد يعكس الصراعات الاجتماعية والسياسية إذ يتم تصويره على أنه مساحة مقسمة بين مختلف الطبقات، كما يستخدم للهروب والرحلة سوآءا من الواقع المعاش أو البحث عن مغامرة أحلى وحياة أبهى.

لهذا اخترنا هذه الدراسة للجمع بين البعد السياسي وتشكلات المكان في رواية "محال".

ولعلى هذا ما يضعنا أمام إشكالية اتخذناها كمنطلق أساسي لبناء هيكل بحثنا، وقد مثلت هذه الإشكالية بدورها جملة من الأسئلة المتمثلة في:

— ماهي الرواية السياسية؟ ماهية مصطلح المكان في الرواية وكيف تجلى داخل المتن الروائي؟، كيف أثرت هجومات 11 سبتمبر في تشكلات المكان؟ كيف تنوعت التقاطبات الدلالية بين مواطن الإقامة والانتقال؟

هذه التساؤلات من بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا البحث، وبما أن السؤال نصف الجواب أردنا أن نكمل النص الأخر ونتعمق فيه أكثر، ومن بين الأسباب التي دفعتنا أيضا لاختيار هذه الدراسة هي:

- الرغبة في معالجة القضية السياسية كونها مستمدة من أرض الواقع.
- الفضول والاكتشاف فقد كان هذا البحث فرصة لاكتشاف أشياء جديدة عن العلم.
- الضجة التي خلفتها هجومات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة وباقي الدول.

وكان هدفنا من هذه الدراسة اكتساب المعرفة وإثرائها والفهم العميق لقضايا المجتمع ومشاكله والمساهمة في خدمته وتطويره.

وقد اعتمدنا في هذا على المهج البنيوي السيميائي كونه الأقرب والأنسب لمثل هذه الدراسة، فالمنهج البنيوي هو الذي يساعد في فهم الظواهر الثقافية واللغوية والأدبية من خلال تحليل الهياكل والنظم التي قد تكون منها، أما السيميائي فهو الذي يصوب اهتمامه بدراسة الرموز والعلامات التي تساعد في نقل المعنى.

وقد صادف هذا البحث مجموعة من الفترات والصعوبات نشأت من:

- ضيق الوقت الممنوح لإنجاز المذكرة والتسرع في تحديد تاريخ الإيداع.
- نقص خبرتنا كمشروع باحثين في السياسة وقوانينها.
- صعوبة في تقييم مصداقية المصادر والتأكد من مدى صحتها.

ومن أهم المراجع المعتمد عليها في هذا البحث نذكر:

- "خليل حسين" (ذرائع الإرهاب الدولي)
- " جميل حمداوي" (الرواية السياسية والتخييل السياسي)

وقد اقتضى مخطط هذه الدراسة أن يتشكل من مقدمة وفصلين وخاتمة ، اندرج تحت الفصل الأول مبحثان انقسم هو الآخر إلى قسمين ، الأول عنوناه بتعريف السياسة والثاني بإشكالية الرواية السياسية ، أما بالنسبة للمبحث الثاني فقد عنوناه بالمرجعية الزمانية والمكانية لثلاثية زيدان وينقسم إلى قسمين الأول تحت عنوان العتبة المعتمة لبداية القرن 21 والقسم الثاني بعنوان الإرهاب والحرب على الإرهاب ، أما فيما يخص المبحث الثالث فهو الأخير في هذا الفصل إذ يحمل عنوان المكان بين الواقع والتخييل الروائي ، حيث ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، الأول عنوناه بتعريف المكان والمصطلحات المجاورة له ، الثاني بالمكان مكونا للسرد الروائي ، أما الثالث بخصائص المكان في السرد الواقعي .

أما فيما يخص الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي الموسوم بتأثير السياسة في تشكلات المكان ورمزيته في رواية "محال" ، ينقسم إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول يحمل دلالة العنوان إذ يتناول العنوان الرئيسي والعبارة الاستهلالية ، المبحث الثاني

موسوم بأماكن الإقامة والانتقال بين القهر والحرية بدوره ينقسم إلى أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة ، أما المبحث الأخير في هذا البحث فهو معنون بانسحاق الشخصية بين سطوة السياسة واستبداد الراوي .

وختاما ما يسعنا إلا أن أرفع شكري إلى أستاذتنا المشرفة " إدريس سامية"، فلها منا خالص الشكر والتقدير، كما نوجه امتناننا إلى كل الذين ساعدونا ولو بابتسامة، وما التوفيق إلا بالله تعالى

المبحث الأول: عن علاقة الرواية بالسياسية

حول مفهوم السياسة

تمهيد:

اختلفت الآراء حول موضوع السياسة من مجتمع إلى أخر وهذا بحسب ظروف كل منهم امة تسعى إلى اكتساب السلطة من أجل تسيير شؤونها تسييرا حسنا، ما يضمن تحقيق الأمن والسلام، فموضوع السياسة إذا علم واسع قائم بذاته ويعذ من أهم الظواهر التي تهدف إلى خدمة الفرد والمجتمع، نظرا للمكانة المرموقة التي حظيت بها منذ القدم من طرف المنظرين والمفكرين، هي سلاح ذو حدين إما مع التعبير تخدم ذاتها وتفيد غيرها في آن واحد، قابلة للتغيير في كل زمان ومكان، بتغير نظرة المجتمعات البشرية.

من الأمور التي انتشرت في يقين الجماعة هي أن بين الثقافة والسياسة، حبل سري غليظ ومتين، فكل منهما تسعى لخدمة الأخرى، إذ تارة نجد الثقافة خادمة للسياسة باستغلالها للطاقة الذهنية للمثقفين في خدمة السلطة، وتارت أخرى نجد السياسة تقحم في الثقافة فتتلاعب عليها إيديولوجيا فتفسد العمل الثقافي و الأدب معا.

كما أسلفنا، لقد تعددت المفاهيم حول السياسة بتعدد السياسيين بينهم "هارولد" harold الذي شرح بأنها <<عبارة عن دراسة السلطة التي تقوم بتحديث المصادر المحدودة >>، وعن "ديفيد بستون" david beston بأنها<< عبارة عن دراسة تقسيم الموارد الموجودة في المجتمع عن طريق السلطة>> أي أن الحاكم هو الذي يصدر الأمر لتقسيم خيرات بلد ما، أما الرأي الثالث فقد مثله " عبدالوهاب الكياني" في قوله أن << السياسة فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علم دراسة المصالح المتضاربة وانعكاسها على تكوين السلطة والحفاظ على اختيارات الطبقة الحاكمة >>[1]، يراد هنا القول أن في علم السياسة دائما البقاء للأقوى ولا محال فيها للضعيف وهي تهدف لكشف العلاقة بين المسؤول والراعية.

[1] – علي الدميني، قلق القوس والكتابة (قراءات نقدية)، جمعية الثقافة والفنون، الدمام،)، ط1، 2017، ص 135.

كما عرفها الواقعيون أنها << فن المكن أي دراسة وتغيير الواقع السياسي موضعيا، كما تعبر السياسة عن عملية ضم قرارات ملزمة لكل مجتمع، إذ تنازل قيم مادية ومعنوية ، وهذا كله حسب خطة محكمة تتم من طرف أفراد وجماعات ونخب معينة على مستوى محلي ، إقليمي أو دولي.

ونشهد رأينا هذا بمقولة الأستاذ " ميلود عامر حاج"، في قوله:<< السياسة عمل ميداني بامتياز يقوم على خدم الأخر وخصوصا لمن يرغب العون وينتظر المساعدة، بل الكل في إيطار المجتمع ، لأنه يقوم على السياسة من خلال ما يقدمه هو الأخر من نخب ومؤسسات وأعراف بمقتضى أنها الوجه العاكس له في احترامه بل من أجل خدمته>>[1] ، إذ حسب الأستاذ الفاضل " ميلود عامر حاج" أن لولا المجتمع لما وجدت السياسة فهي ظهرت كعلم من أجل خدمة الشعب فكما يقال الإنسان ضعيف بمفرده وقوي بإخوانه.

لهذا يسعى النقاد للكشف عن العلاقة القائمة بين ثنائية الرواية والسياسة لكن قبل أن نخوض إلى معرفة هذا الاتصال ينبغي علينا أولا الإشارة إلى ماهية الرواية السياسية. فيا ترى على ماذا تقوم هذه الرواية؟ وما علاقتها بالسياسة؟.

عرفها الدكتور "طه وادي" في قوله: << هي الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وكاتب الرواية ليس منتميا بالضرورة إلى حزب من الأحزاب السياسية، لكنه يريد أن يقنع بها القارئ بشكل صريح أو حنيني>>[2]. انطلاقا من هذه المقولة نفهم أن الروائي يلعب دورا هاما في حياة المتلقي إذا إنه يحاول إقناعه بطريقة أو بأخرى بمكانة السياسة إذ ليس ضروريا أن يكون هذا المبدع سياسيا لتبليغ رسالته في أحسن وجه.

لا مراء أن الرواية لعبة ولا تزال تلعب دورا فعالا في الثقافة المعاصرة والجنس الادبي ذلك انها قادرة على تصوير ونقل هموم المواطن ومحاولة تغيرها ايجابيا .

والى جانبه "جميل حمداوي" في مفهوم الرواية السياسية "تعني Roman Politique، تلك الرواية التي تنص على مناقشة الأفكار السياسية وبرامج الأحزاب السياسية والعملية، وتحديد تصورات

[1] – المرجع نفسه، ص 137.

[2]– جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل الروائي، شوهد يوم 2023/02/24 على الساعة 13:45 وعلى الموقع: www.diwanalarab.com.

المذهب السياسي وتبيان موطن اختلافهما وتشابههما مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم، والعامل مع أرباب وسائل الإنتاج.

و من بين نقاد الرواية السياسية أيضا نجد "جورج بلوتنر" Georges plotins في كتابه الرواية السياسية The political Novel، فيقول: << إذا حاصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض المؤسسات كالكونغرس والبرلمان، فهذا يعني أن نراعي ذلك الطابق العلوي للبناء السياسي ونتجاهل الطابق الرئيسي والقاعدة التي تسانده>>[1] .

بمعنى أن الرواية السياسية حسب منظور بعض المؤسسات تركز في نشاطاتها على من هو أعلى منصب وتغض النضر عن اليد اليمنى التي تساندها والتي قد تكون السبب في وجودها.

أما تعريف "إرفينج هاو" Irving How، فيقول: << الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكي بيد أنا توضيح كيفية التحكم تبدو ضرورية أن كلمة تحكمي، تحتاج إلى تحديد وربما كان من الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر عليه أفكار سياسية دون صعوبة أو تحريف>>[2].

هنا يريد " إرفينج " أن هذا النوع من الروايات يجب أن يغلبها الجانب السياسي ويجب أن يكون هناك طابع سلطوي قمعي يسير ويسيطر على الأمور دون أي عرقلة ولابد من وجود توجه عقائدي سياسي يسقط فكره على جماعة ما في طريقة العمل والتفكير.

ومن هذه النقطة ينبغي علينا تسليط الضوء على الخيط الذي يربط السياسة بالرواية فنقول أنها طبيعية ومنطقية، أن كلت الطرفين تهتمان بحات الإنسان من نواحي عديدة، فالروائي الحق، هو الذي يسعى جاهدا لمعالجة المشاكل التي تواجهه ويحاول إصلاحها وهو الذي يركز على تجسيد راية سياسية، لهذا يقوم بكتابتها، كما يهتم هذا النوع من الروايات بمناقشة الفكر السياسي دون إهمال خصائصها الفنية حيث يتمثل دورها في الدفاع على حقوق الإنسان وحريته الشخصية فيصهر هذا الكاتب لتغيير هاته العيوب إلى محاسن والسلبيات إلى إيجابيات، يحاول تغيير الواقع بطريقة غير مباشرة وهذا بواسطة اللغة وينبغي أن يكون مرة عاكسة لما يعيشه المواطن من ظلم وحرمان وقهر.

---

[1] – الموقع نفسه، ص 6.

[2] – الموقع نفسه، ص نفسها.

المبحث الثاني: المرجعية الزمانية والمكانية

المرجعية الزمانية والمكانية لثلاثية يوسف زيدان

1) المرجعية المكانية:

عّد المكان أحد العناصر المهمة في المتن الروائي لكونه:

<< يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الروائي والشخصي في الوقت نفسه ولهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي أن للحدث الروائي لا يمكن أن يتم في الفراغ بل لابد من مكان يقع فيه كي يأخذ مصداقية وتتم عملية تبليغه بنوع من المصداقية إلى المتلقي . ويكون النص الروائي متسما بتنوع الأحداث وتعيرها. ويقتضي هذا الأمر تعدد الأماكن وتليها في الحكاية>>[1]، أراد الكاتب هنا أن يقول بأن الأشياء لوحدها لا قيمة لها ولا توجد من عدم بل لابد من سبب لتوجد، فالحدث الروائي لوحده لا يكفي لتتم العملية السردية فمن الضروري أن يكون هنالك أساس يتكئ عليه، وهذا الأساس هو عنصر المكان. لهذا فإنّ المكان ذو مكانة عظيمة وسط القناعة الأدبية والأعمال الابتدائية سواء في العمل الروائي، القصصي وحتى الشعري، لكن لابد من التمييز بين المكان الحقيقي والمتغير، فالمكان الحقيقي على حد تعبير "سمر روحي الفيصل" هو: <<مكان خارجي محسوس، يعرفه المتلقي أو يستطيع معرفته إذا رغب في ذلك>> [2] . فالمكان مجرد شيء معنوي لا مادي هو غير ملموس بل محسوس هو مجرد جدران صماء أو حيزا محايدا، يلعب دورا هاما في التأثير على مجريات الأحداث ويمنحها حركة وديناميةوليس هذا فقط بل يؤثر أيضا على حياة الشخصيات الروائية. فهذا الأخير يحمل بهذا جماليا ودلاليا في التعبير عن الأفكار.

2) المرجعية الزمانية:

حظى الزمان باهتمام كبير من قبل الدارسين في شتى المجالات المعرفية في الأدب ولاسيما في الجانب الروائي، فهو يمثل وسيط الرواية ويشكل جزءا لا يتجزأ من بنائها الفني، وقد ارتبط الزمن

[1] – أحمد مرشد، البنيه والدلالة في رواية إبراهيم نصرالله، المؤسس العربية، بيروت، ط:2، ص 127.

[2]– سمر روحي الفيصل، الفضاء الروائي المضاد، مجلة الاستهلال، ج1، سوريا، نوفمبر2011، ص4.

بالإنسان، ووجوده الذي يتمثل في مختلف تجاربه وخبراته، لذلك قيل: << فالسؤال عن ماهية الإنسان يشير بثبات إلى السؤال عن ماهية الزمان لارتباط الزمن بوجود الإنسان الذي نحسه في تعاقب اليل والنهار، وفي الصبا والشيخوخة، فالزمان هو كل من الكائنات ومنها الكاتب الإنساني الذي لا يغفل عنه الزمن لحظة واحدة>>[1]، أي أن عنصر الزمن أصبح جزء من حياة الإنسان إذ يتتبعه في كل خطوة يخطوها، وقد وجد معه منذ نعومة أضافره منذ آن كان صغيرا إلى أن ولى شيخا، فالزّمن إذًا لم يوضع صدفة أو عبثا بل له، شأن عظيم في الحياة.

فالزمن جاء ليربط الماضي بعاصر الإنسان ويعكس ظروفه الاجتماعية التي يعيشها إلى يومنا هذا.

أما " سعيد يقطين" فيرى يأن الزمن << مقولة متعددة المجالات ويعطي لكل مجال دلالة خاصة بأدواتها التي يصغوها في حلقه الفكري والنظري. فقد يستعير مجال معرفي في بعض فرضيات أو نتائج مجال خر فيوظفها مانحا إياها خصوصية تساير نظامه العربي...>>[2]

أراد سعيد يقطين أن يوضح نقطة مهمة ألا وهي أن الزمن مهد السبيل للعديد من المجالات الأخرى وكان حلقة وصل بينها وأعطى لكل مجال حقه المعروف ودلالته الخاصة.

3) أهمية الزمن في العمل الروائي:

يعتبر الزمن عنصرا مهما في تأسيس العمل الروائي لهذا فقد اكتسب مكانة كبيرة في الدراسات النقدية إذا قيل عنه بأنه: << مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير لا من خلال مظهره في حد ذاته. فهو وعي خفي لكنه متسلط ومجرد، لكنه يتمظهر في الأشياء المتجددة>>[3].

هكذا إذا طغى عنصر الزمن على وعي الإنسان وأصبح يتحكم في أفكاره بالرغم أنه خفي لا يرى بالعين المجردة لكنه يظهر في تأثيره الكبير على روح الإنسانية.

---

[1] – فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكتابة الجزائرية(دراسة نقدية)، دار النشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012.

[2] – سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن– سرد– التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، ص61.

[3] –عبدالمالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار المعرفة، ديسمبر 1998، ص201.

والزمن هي الكلمة التي شغلت فكر الإنسان وجذبته إليها، فراح يتناولها بالدرس محاولا تعريف مفاهيمها. ومن خلال الدراسة وجدنا أنها مشبعة الدلالات لا يخلو منها مجال من مجالات المعرفة وقد كانت للفلسفة الأولوية في تناول مقولة الزمن.

ولا يقصد بالزمن على أنه السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق والليل والنهار بل هو:**<< هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وخير، وكل فعل وكل حركة، بل هي جزأ لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها ومظهرها وسلوكها>>**[1].

وتعد اللغة الأم من أهم المجالات التي يظهر فيها الزمن بصفة جلية كانت أو حصيلة، تصور مقولة الزمن تجد اختزالها العلمي والمباشر مجسدا بجلاء في تحليل اللغة وبالأخص في أقسام الأفعال الزمنية التي نظر إليها من خلال تطابقها مع تقسيم الزمن الفزيائي إلى ثلاثة أبعاد: (الماضي، الحاضر والمستقبل)[2].

لا ريب أن الأدب أعاد الاعتبار لعنصر (الزمن)، بعدما كان مهمشا وبعدما كان وسيلة فقط أصبح اليوم بمثابة علم، وقد احتل مكانا مهما في الدراسات النقدية، وهذا ما دفع الناقدة سيزا قاسم إلى تصنيفه كأول عنصر أول للاهتمام[3].

الزمان ليس واحدا في جميع الروايات وإنما يختلف استعماله من مبدع إلى آخر لهذا يحاول الروائي تجاوزه من خلال تشكيله في صورة تستعمل لضبط مظهره المتنوعة لأن طبيعته الصعبة تمنحه القدرة على التشكل داخل الخطاب الروائي بأنواع مختلفة وأحسن تعريف للزمن هو ذلك الذي قدمه نعيم عطية من خلال دراسته " **دلالة الزمن في الرواية الحديثة**"،<< تعتبر اللغة هي الأداة الوحيدة للزمن، حيث يتواجد بين كلمة البداية وكلمة النهاية أما غير ذلك فهو غير موجود، لهذا لم يقتصر هذا العنصر على دراسة واحدة فقط بل كانت له عدة جوانب مختلفة، وتعتبر الرواية أحد هذه الجوانب>>[4]

---

[1] – الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي(دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، أربد– الأردن،(ط1)، سنة 2010، ص39.

[2] - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد – التبئير)، ط.3، المركز الثقافي العربي، بيروت، سنة 1997، ص 61.

[3] - ينظر د. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، القاهرة، (د. ط)، س 1978، ص 34.

[4]–ينظر نعيم عطية، دلالة الزمن في الرواية الحديثة(ع 170)، فبرير 1971، ص 19.

من هنا عدة الزمن عملا أدبيا عوض أن يكون الدالة فقط حيث أخذ مكانا جوهريا وسط المساحة الأدبية عامة والرواية خاصة. وعلى الراوي أن يكون على دراية بالأحداث التي انقضت من لحظة البداية غلى النهاية. وهذا المخطط الآتي يستخلص كل ما سالف.

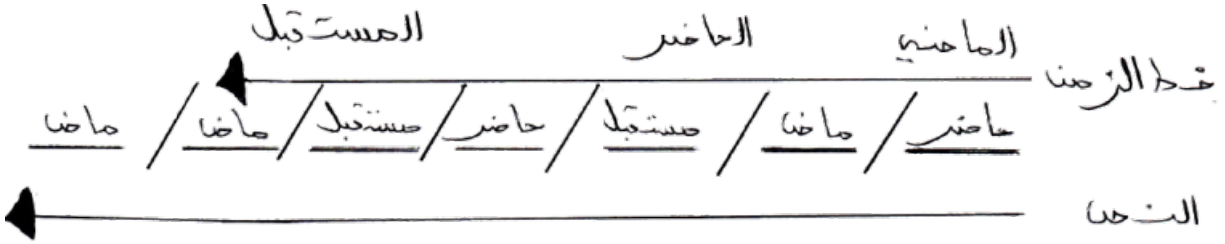

[1]

4. ثلاثية يوسف زيدان

يعتبر "يوسف زيدان" من المؤلفين الكبار الذين طغوا علي الاعمال الروائية ,وبمجرد التعمق في شخصية نجد انه اهتم كثير بالإنسان وقضايا الاجتماعية كانت ام السياسية ام الثقافية حملت في طياتها فكرا تنويريا له في هذا الوجود , كما ان اهتمامه بمظاهر التجريب في العمل الروائي كتوظيفه للتراث العربي المخطوط واهتمامه لمختلف العلوم كالقضايا الانسانية جعلت منه حديثا موسوعيا الى حد بعيد، ومن بين الروايات التي أحدثت ضجة كبيرة في العالم العربي نجد على رأسها:" محال" التي تعتبر الجزء الأول لتليها رواية جوانتانامو"، ثم "نورا".

والثلاثية في الآداب نقصد بها أي قطعة فنية من رواية أو قصة تتكون من ثلاثة محاور، إذا ينقسم كل محور إلى وحدة كبرى مرتبطة بالموضوع العم وإن أردنا الحديث عن رواية محال نقول أ، واجهة العنوان ترشد القارئ إلى دلالات وإيحاءات متعددة تمثل الاستحالة وتعدد الأمكنة والقدرة والتمكين أن نتلفظ بها على أوجه مختلفة مثل : { محال بالضمة، محال بالفتحة ومحال بالكسرة}. فهذا راجع لطبيعة القارئ وكيفية تأويله للنصوص.

[1]- د. سيرا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، القاهرة، سنة 1978، ص34.

أ. رواية محال:

أول ملاحظة استنتجناها هي أن هذه الرواية لم تمثل لا سيرة ذاتية ولا وثيقة تاريخية بل هي قالب ممزوج بين الواقع والمخيل، إذ قدم" يوسف زيدان" نظرة عميقة دافعت بشكل أو بأخر عن حقوق الفرد والمجتمع حيث كان ذكيا وفطنا في تشخيص الأبطال وسعى جاهدا ليتأقلمهم مع الأحداث؛ فرواية محال في جوهرها استندت إلى شد الرحال وتعدد الأسفار وكثرة الانتقال.

الشخصية الرئيسية للروايات الثلاث تمثلت في شاب مصري سوداني الأصل عشريني العمر، تربى تربية دينية حسنة، كان همه الوحيد أن يعمل مرشدا سياحيا وكان حلمه بسيطا أراد عيشا كريما وحياة هادئة، كان كثيرا ما يسافر مع والده، ففي عام 1990، جاء معه إلى" أسوان" لإجازة، ومن بين أحلام علي "الزواج من فتاة أسوانية ، ليكمل معها بقية حياته، لكن القدر شاء أ، يجمعه مع فتاة تدعى" نورا"، وهي أيضا طالبة مثله مصرية الأصل تدرس في قسم علم الاجتماع بكلية الأدب بجامعة الإسكندرية، وقدّمت إلى الأقصر قدمت فوج سياحي طلابي عاش "علي" قصة حب سحرية لكن هذا الشعور لم يدم فقد فشل في هذه التجربة أن "نورا" أجبروها على الزواج برجل ليبي كان ضابط مخابرات كان ذو جاه ومال، إذا حزن علي كثيرا وتلاشت أحلامه برمشة عين، التحق بعدها بالعمل كمصور في قناة اليتيم القبض عليه دون سابق ذنب.

امتدت أحداث هذه الرواية بين حيز زمان تراوح بين مطلع التسعينيات إلى غاية مطلع عام 2001، الذي اعتبر عاما أسودا ففيه شهد تفجير برجين لمركز التجارة العالمية لمدينة نيويورك، وفيه تحالفت أمريكا مع شقيقتها من الدول الكبرى لغزو أفغانستان وإنهاء حكم طالبان ومن هنا ظهر ما سمي بالإرهاب.

ب. جوانتانامو:

تدور أحداث هذه القطعة حول معتقل جوانتانامو وهذا ما يتبادر في ذهنية كل متلقي بمجرد أن تقع رموشه على العنوان، لكن قبل تأليف هذه الرواية قرر "يوسف زيدان"، أن يحبس

نفسه لمدة 10 أيام بعيدا فيه عن الضوضاء وعن الناس ليتذوق مرارة السجن، وقطع كل اتصالاته بهم.

" جوانتانامو" سجن متواجد في الجنوب الشرقي لكوب، حبس فيه لمدة 6 أشهر ثم نقلوه إلى مصر ليبقى 5 سنوات في سجن العقرب.

ج. رواية "نورا"

" نورا" هو اسم الفتاة التي أحبها "علي"، جاءت هذه الرواية متممة لثلاثية "يوسف زيدان"، وفي الوقت الذي كان فيه هذا البطل معتقلا، انقلبت الأحداث وتحولت بين رواية "محال"، الراوي أسمى هذه الرواية ب "نورا"، يدل " نورا" على طفلة صغيرة بريئة، "نورا" إذ استرجعت قصتها مع رواية "محال" الذي أحلته رحمها ثم اختفى في غيابها معتقل "جوانتانامو" وهذا كان سببا كافيا دفعها للزواج من الرجل الليبي رغما عنها لظروف عائلية ومالية، بعد هذا ركز الراوي على وصف معاناة المرأة وسط مجتمع ذكوري متسلط همه الوحيد لوم المرأة على كل ذنب وجعلها أداتا للإنجاب فقط وفريسة لإشباع غرائز الرجال، لكن الخطيئة تبقى على الرجل والمرأة فالله تعالى ذكر " الزاني والزانية" ولم يخص المرأة فقط، إذا "نورا" وسط هذا المجتمع المعاق ذهنيا والمريض عقليا تكون قد عانت ضعف معاناة حبيبها الذي كان معتقلا فأصعب عقاب قد يعيشه و يوجهها الإنسان هو معتقل العادات والتقاليد الظالمة.

نلاحظ من خلال الروايات الثلاث أنها يجمعها قاسم مشترك إذ تدور أحداثها حول حلقة واحدة، إذ في كل مرة يذكر الروائي مصطلح السجن ما يشير في كل رواية إلى مواطن الانتقال من مكان لآخر، كما أن هاته القطع الفنية مكملة لبعضها البعض، فهي ثلاثية خرافية من ذكاء المبدع " يوسف زيدان" لدرجة أن القارئ لا يلاحظ أنها مقسمة إلى ثلاثة محاور بل يحس أنها رواية واحدة.

1. العتبة المعتمة لبداية القرن 21 :

تمهيد:

تجتاح العالم في هذه الفترة من تاريخه موجة ضخمة من الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأرواح والأموال. أصطلح "علي" تسميتها في أوساط السياسة الدولية والإعلام والفقه الدولي. بالإرهاب الدولي[1].

فعلى الرغم من أن المجتمعات القديمة لم تشهد كمثل هذه الظاهرة من قبل إلا أن هذا لا يمانع من وجود جذور ممتدة عبر التاريخ الإنساني إذ أصبح ظاهرة عالمية تمس من أمن الدولة والمجتمع. إذ حاول العديد منهم إلصاقها بالدين والحضارة الإسلامية.

وهذا ما يجعلنا في موضع تساءل حول قضية الإرهاب، فيا ترى ما هو؟ وما هي الدوافع والأسباب التي ساهمت في ظهوره؟.

مما لا شك فيه أن الاتفاق حول تعريف الإرهاب يأخذ بين المجتمع الدولي نحو حل إشكاليات نظرية متعلقة بظاهرة الإرهاب، حيث يبدأ تعريفه بمعرفة الحقيقة اللغوية لهذه الكلمة، فهو لفظ الحديث لاستعمال على صعيد المستويات المحلي والدولي ومعرفة هدف تباين أو إيقاف مدلولها بين مختلف اللغات المعاصرة.

هذا وقد تعددت المحاولات الخاصة بتعريف لفظة الإرهاب طوال الفترة الماضية بمساعدة المنضمات الدولية والتشريعات الوطنية.

3.1. الإرهاب لغويا:

هو مصطلح حديث الاستعمال في اللغة الحية في عالم اليوم لا يتعدى تاريخ بدؤها القرن الثامن عشر، وقد بات هذا المصطلح الأكثر شيوعا في الخطاب والإعلام الدوليين والمحليين على السواء، وتحقق ذلك كنتيجة لطبيعة الأحداث الإجرامية المتصاعدة بما تشكله من خطورة، بالإضافة إلى الممارسات السياسية للدول، وخصوصا الكبرى منها والتي تملك الوسائل الإعلامية التي تتحكم بتوجيه الخطاب إعلامي بتكويناته[2]. فهذا التعريف جاء كردة فعل قوية للأعمال الإجرامية والممارسات السياسية التي فرضتها الدول الكبرى.

2.1 الإرهاب في اللغة العربية:

[1] - د. محمد عبدالمطلب الخشن، تعريف الإرهاب الدولي بين الاعتبارات السياسية والاعتبارات الموضوعية ، دار الجامعة الجديدة للنشر، سنة 2013، ص 2

[2] – د. محمد عبدالمطلب الخشن، مرجع سابق، ص 36

عرفه الدكتور" عبد الوهاب حومد" على أنه مذهب يعتمد للوصول إلى أهدافه على الذعر والإخافة وينقسم هذا الأخير إلى شقين، الأول يرمي إلى القضاء على نظام الطبقات بمجموعة ومختلف أشكاله، أي ما يخص الجانب الاجتماعي، أما الشق الثاني فهو يختص بالجانب السياسي، إذ يهدف إلى تغيير نظام الحكم، أما الدكتور" صلاح الدين عامر" يعرفه على أنه الاستخدام المنظم للعنف وحوادث الاعتداء الفردية أو الجماعية أو التخريب من أجل تحقيق هدف سياسي[1]. وكل هذا لهدف خلق جو من عدم الاستقرار والطمأنينة وزرع الخوف في نفوس المواطن بطريقة أو بأخرى من خلال اختطاف الأفراد، استخدام المتفجرات، تخريب وتغيير مسار الطائرات بالقوة.

3.1. الإرهاب اصطلاحا:

هو مصدر لفعل أرهب بمعنى الخوف، إذن الرهبة تعني الخوف المشوب بالاحترام، وإن أخذنا التعريف فالإرهاب مجاله قد يكون الجريمة المنظمة، المتاجرة بالمخدرات، الهجرة، تبييض الأموال، ويربط بالحركات التحررية والنضال من أجل تقرير المصير والاستقلال

فيرى" إسماعيل جبري" في تعريف الإرهاب فيقول أنه: << عبارة عن استخدام العنف والتهديد باستخدامه قصد إثارة الفزع باستخدام الوسائل التي تتراوح بين الاغتيالات وتفجير الأماكن العامة.... وغير ذلك من الأعمال التي تتضمن المساس بمصالح الدول الأجنبية>>[2]

مما سبق نقول أنه سيكون عسير تحديد مفهوم موحد لمصطلح الإرهاب لكن المتفق عليه أنه يسعى إلى إثارة الخوف والرعب من أجل تحقيق مصلحة شخصية معينة ونستعين قولنا هذا بكلام الله الذي لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق فلفظة "رهب" وردت أكثر من ثلاث مرات في الذكر الحكيم لتدل على الخوف والفزع نذكر بعض منها:

— (يرهبون) في قوله تعالى: <<... **وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**...>>[3]. الأعراف 154 .

---

[1]– د. عبداللطيف بوروبي، ماهية الإرهاب، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة، الجزائر، د ط، ص 171.

[2]– د. خليل حسين، ذرائع الإرهاب الدولي وحروب الشرق الأوسط الجديد، ط1. سنة 2012، ص 22–23.

[3] – سورة الأعراف، الآية 154

- (فارهبون) في قوله تعالى: <<... **وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون**...>>[1] البقرة 40.
- (ترهبون به) في قوله تعالى: <<...**ترهبون به عدو الله وعدوكم**...>>[2]. الأنفال 60.

فنلاحظ إذا من خلال هذه الآيات أن كل ما يتعلق بلفظة " إرهاب" تدل على الخوف الفزع وعدم الأمان.

لا شك أننا نعيش في عالم يتصف ببعدين أساسيين هما: الزمان والمكان ففيهما ينمو الجنس البشري ويتطور، حيث أن المكان أقدم من الإنسان الذي بوجوده وكينونته في المكان فإنه يعيد تشكيله وتحويله إلى أشكال مختلفة حسب احتياجاته الحياتية وفق ثقافته.

وعلى الرغم أن المكان والزمان عنصران متلازمان ، فإن المكان ساكن وثابت عكس الزمان المتحرك، وهو في ثبوته واحتواءه للأشياء الحسية المستقرة فيه يدرك بالحواس إدراكا مباشرا، ذلك لكون المكان صورة أولية راجعة إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواس الإنسان الخمس، أما الزمان فيدركه الفرد إدراكا غير مباشر من خلال فعله فيه.

إن وجود الإنسان في المكان أدى إلى تعميد العلاقة بينهما، هي علاقة أخذت في التنامي حتى أصبح المكان واحد من القضايا التي تقام لها دراسات عديدة بغية التعمق فيها، وأكثر من هذا فقد وجد له علم خاص يسمى بالطوبولوجيا الذي اهتم بخصائصه من حيث هو مكان أو غذا صح التعبير العلاقات المكانية المختلفة كعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة الاندماج والانفصال والاتصال التي تعطينا الشكل الثابت للمكان، الذي لا يتغير بتغير المسافات والمساحات والأحجام.

إذا نستنبط أن الزمان يشير إلى الفترة الزمنية التي يحدث فيها حدث ما معين، حيث يقاس بالساعات والأيام والأشهر والسنوات والعصور والفترات الزمنية الأخرى، ويتأثر بعوامل مختلفة كالجهد الزمني والتوقيت المحلي والتقويم المستخدم، أما المكان فيشير إلى الموقع الذي يحدث فيه حدث ما، ويتم قياسه بالكيلومترات والأميال والأقدام والمترات وغيرها ويتأثر هو بدوره بعوامل عدية كالطبيعة ، والتضاريس، الأجواء والأنشطة البشرية.

[1] – سورة البقر، الآية 40.

[2] – سورة الأنفال، الآية 60.

فالزمان والمكان عاملين يساعدان في الفهم الأكثر عمقا لأي حدث أو ظاهرة لذلك فإن دراستهما تساعد على الفهم العالم يشكل أفضل وأسرع. ولنؤكد العلاقة السميكة القائمة بين الزمان والمكان سوف نقوم بذكر بعض الأماكن والأزمنة التي تواجدت في الرواية أو بتعبير أخر حين يلتقي التاريخ بالجغرافيا.

2. شرح الأمكنة التي توجدت في الرواية

- **أسوان:** المكان الذي تربى فيه البطل "علي" وسط أهله، حيث تنقسم هذه المدينة إلى قبيلتين منها: الفجكي والمتوكي التي كان حلم علي الزواج بفتاة من هذه المنطقة، وفي أسوان تعرف "علي" على أجانب تخالف معهم دينيا وعقائديا وفيه بدأت رحلته مع الطلبة.
- **معبد كلابشه بالسودان:** استرجاع "علي" لذكرياته مع أمه وأبيه وإخوته، وهو المكان الذي تعرف فيه على رجل سعدي يدعى "أسامة بن لادن" الذي كان محاطا بحرس لأنه كان مجاهدا في أفغانستان، وهو نفس المكان تحطمت في أحلام هذا الشاب بسبب مغادرة فتاته "نورا" الإسكندرية التي كانت تروي له كل حياتها عن مرض أبيها وإجبارها على الزواج برجل ليبي.
- **المتنزه/الإسكندرية:** مقابلة «علي" لوالد "نورا" لطلب يدها لكن أبوها وضع له شروطا كثير لكن "علي" ظل يعمل ليلا ونهارا للزواج بها وفعلا قد نجح في ذلك.
- **سنة 1997:** سنة العشرية السوداء، كان عاما مليئا بالحزن والمأساة فيها عرف " علي" أن إقامته قد انتهت لذا قرر أن يعود مجددا إلى السودان، فقد ضاع عمله وفي نفس الوقت انهارت وتدهورت علاقته بفتاته، وفوق كل هذا تلقى فاجعة استشهاد 58 أجنبي من طرف مسلحين مجهولين الجنسية، وفي في هذه السنة عرف "علي" بقصة زواج "نورا" بالرجل الليبي بعد مساعدته لوالدها عندما كان مريضا.
- **الخليج:** المكان الذي أتاح ل"علي" فرصة للعمل وقد اعجب مديره بأخلاقه فوعده بأنه سوف يقوم بالبحث عن وظيفة تليق به في أوزباكستان لكن سرعان ما تلاشت هذه النعمة.
- **سنة 2002:** توتر العلاقة بين "علي" ومديره "فورا" لكن هذا لم يمنعه من زيارة أوزباكستان والاستمتاع بتضاريسه واستكشافه لعادات أنامه.
- **قندهار:** زواج "علي" ب مهيرة" المرأة التي عرفها عليه صديقه رغم ضيق "نورا" الذي كان يراوده كل مرة.

- **أفغانستان:** البلد الذي سادت فيه الحروب بشتى أنواعها فقد صارت كلها رمادا وصحراء قاحلة.
- **باكستان** : بيع "علي" لضابط أمريكي من طرف جاسوس باكستاني إذ انتهى به الأمر في سجن جوانتانامو بكوبا.

العتبة المعتمة لبداية القرن 21/ العالم ما قبل وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001

1.1 العالم ما قبل أحداث 11 سبتمبر 2001.

قبل هذا التاريخ كان العالم يعيش في جو حافل بالسكون والأمن وبعض من الاستقرار وكان في حالة من النسبية من الهدوء، رغم أنه كان يواجه مجموعة من العراقيل والصراعات في الشرق الأوسط والشمال الإفريقي وبعض دول أمريكيا اللاتينية وبعض التحديات الاقتصادية في بعض الدول النامية إلا أنه كان يواجهها بشتى الوسائل وسرعان ما يعم السكون كما كان من قبل، صحيح أنه كان هناك تهديد مستمر من الإرهاب ورغم أنه كان محاص من كل الجهات إلا أنه لم يكن مشابها للتهديد الذي يشكله الإرهاب الدولي الذي نعرفه اليوم. فيا ترى ماهي أهم الحداث التي طرأت على الولايات المتحدة الأمريكية وكيف واجهتها؟

بعض أحداث 11 سبتمبر:

في هذا التاريخ، شنت مجموعة من الإرهابيين الإسلاميين هجمات إرهابية على الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أسفرت هذه الهجمات عن سقوط برجي مركز التجارة العالمي في مدينة "نيويورك" وأدت إلى وفاة لاف الأشخاص، كما هاجم الإرهابيون مبنى وزارة الدفاع الأمريكية في " واشنطن" العاصمة وأيضا إسقاط طائرتين مملوءتان بالركاب، كانت إحداهما في " بنسلفانيا" أما الأخرى في " واشنطن".

<<في فجر يوم الثلاثاء الموافق ل 11 سبتمبر 2001، حيث أعد ملايين الرجال والنساء أنفسهم للعمل، وذهب البعض إلى " ألنغتون" في "فيرجينيا" إلى" البنتاغون"، وكان كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية قد عاد لعقد دورية، من جهة أخرى بمدينة " بنسلفانيا" قد بدأ أناسها يصطفون لجولة في البيت

الأبيض، وفي "فلوريدا" بالضبط في " سار سوتا" كان الرئيس "جورج دبليو بوش" قد ذهب للركض باكرا، أما باقي الموطنين كانوا قد توجهوا للمطار للقيام برحلة>>[1]

<< إن العدو يقيم على أرض دولة ذات سيادة رفضت حكومتها بحكومة طالبان التعاون بتسليم "بن لادن" وجماعته دون تقديم الأدلة القطيعة على تورطه في الهجوم...>>[2]

إذا كان الكاتب "زيدان" يربط روايته "محال" بأحداث الحادي عشر من سبتمبر وقام بتوثيق بعض الشخصيات والأحداث والأماكن فيها والتي كان لها تأثير على مصير الشخصية استفاه من التاريخ الراهن ويتجلى هذا في قوله:<< توالت الأخبار مؤكدة عزم زعيم حركة طالبان الأفغانية " الملا عمر" تدمير تمثالين هائلين بمنطقة "بامبانا" الواقعة تحت سلطته، أنهما يصوران " بوذا" المقدس عند غير المسلمين>>[3]، وأيضا في قوله: << كان العالم كله يستعطف طالبان وزعيمها>>[4].

من هنا سوف نوضح هذه الأقوال بمخطط يعبر عن بعض الأحداث التي وثقها "زيدان" في روايته وهو كالتالي:

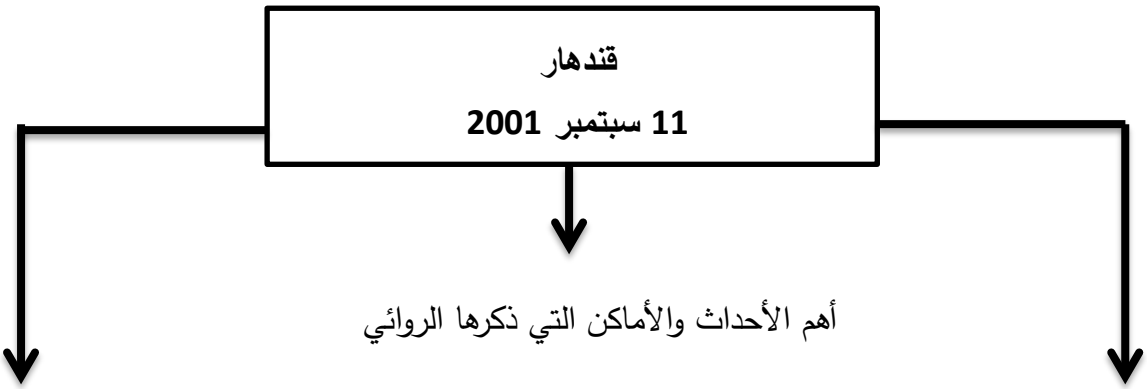

[3]– يوسف زيدان ، محال، دار الشروق للنشر. مصر–القاهرة، ط 1،

[4]– المرجع نفسه، ص، نفسها.

وهكذا اعتبرت العلاقات بين الجماعات البشرية ظاهرة قديمة، ترسخت مع ظهور التجمعات البشرية التي احتضرت بهدف الحفاظ على بقائها وتأمين حجاتها إلى التعامل مع غيرها من التكتلات، فالعلاقة التي تبنى بين الأفراد والجماعات القديمة كقدم الإنسان، فالكل يسعى للحفاظ على بقائه لذى كان لابد من التواصل والتعامل مع الغير ، إذا هذه الأحداث هي عبارة عن جاهلية القرن العشرين الكل يسعى إلى تلبية مصالحه ولا تهمه العواقب التي سوف تترتب جراء هذه العدوانية.

رواية "محال" ما هي إلا عينة من أحداث الحرب العالمية فهي جزأ من الكل، وهي رواية قديمة النشأة لكن الروائي" زيدان" عرف كيف يصنعها في قالب جديد، وعرف كيف يفتتحها على العديد من الإتساقات والمرجعيات المعرفية المستقاة من الجانب التاريخي والجانب السياسي.

2.1 العالم ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

بعد المعاناة الجسيمة التي لحقت بالعالم جراء الحربين العالميتين، كان لابد من وجود ضرورة لبلورة نظام دولي يعالج هذه القضية ويعيد المياه إلى مجاريها، وكان لابد من وضع قانون ينضم شؤون الدولة ويحافظ على السلام وإذا كان حدث الحادي عشر سبتمبر قد أتخذ العامل الثقافي كعامل رئيسي فإن الواقع يختلف بهذا بكثير، إذ أن العديد من المفكرين والمؤرخين وجدوا أن عامل الدين أولى من العامل الثقافي، فالاختلاف في الديانات يعتبر حكرا على المجتمع، وهناك من يرى أن الحرب على أمة من الأمم لم يكن يوما للإكراه عن الدين، بل شروع لمنع الفتن وحماية الكرامة السلامة.

ونستعين كلامنا هذا ونؤيده بقوله تعالى:<< **وقاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**>>[1]. سورة البقرة الآية 190.

وكذلك قوله: << فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها>>[2]. سورة محمد الآية 4.

[1]– سورة البقرة، الآية 190.

[2]– سورة محمد، الآية 04.

بعد أحداث 11 سبتمبر تغيرت الحالة الأمنية في العالم بشكل كبير، حيث بدأت الحكومات والمنضمات الدولية تركز بشكل أكبر على مكافحة الإرهاب وتعزيز الأمن الدولي، فهده الأزمة القاسية غيرت العالم بأكمله وشكلت مستقبله لا أحد ينكر الدور المتعاظم الذي قامت به الولايات المتحدة في سبيل تنفيذ أهدافها السامية وسعت إلى تغيير موازين القوى، خصوصا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وتلاشي مفهوم الثنائية القطبية وبروز الأحادية القطبية بدأت الولايات المتحدة تتصرف بإرادة مطلقة ومنفردة وردت السهم إلى الخلف لتنطلق من جديد بكل قواها ولهدف إزالة أسلحة الدمار الشامل وتحرير الشعوب التي بموجبه أباحت مبدأ التدخل في شؤون الدول(أفغانستان. العراق)، وانتهاك اتفاقيات "جنيف" بشأن معاملة الأسرى وتعمد استهداف المدنيين في الحرب(أسرى القاعدة وطالبان- غوانتنامو- غزو العراق)، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تؤمن أن "ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة"، فيا ترى ماهي القوانين والاستراتيجيات التي شنتها هذه الأخيرة؟ وكيف واجهت تلك الظاهرة التي باتت تنتشر كالسرطان؟.

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات ينبغي علينا أولا الوقوف عند ماهية الإرهاب والحرب على الإرهاب التي أطلقها عليها مصطلح" الهيمنة الأمريكية"؟.-

2. الإرهاب والحرب على الإرهاب:

1.2 الحرب على الإرهاب:

بعد ولات الحرب التي تعرضت لها الولايات المتحدة في عقر دارها لا مراء أن شعبها كان بأمس الحاجة إلى التحرير، لذا كان رئيسها "جورج بليو بوش" أول من أعلن الحرب على الإرهاب عقب تلك الهجمات، دون تحديده لماهية ذلك الإرهاب، إذ قال: << أعتقد بأنه تقع علينا مسؤولية نشر الحرية في التاريخ، والتي هي تمثل مهابة مسؤولية حماية الشعب الأمريكي، لأنهما متشابكتان>>(...)[1].

استلمت الإدارة الأمريكية تربغها على عرش الأحادية القطبية وفرضها للنظام الدولي الجديد وفرضت عدة تقسيمات في محورين:

1-**الامن الداخلي:** إذ اتجهت فيه الولايات المتحدة الأمريكية لتكثيف آليات الأمن الداخلي منها:

- إنشاء مكتب الأمن الداخلي في 20 سبتمبر 2001.

[1]-أ. م وليد حسين محمد، الحرب العالمية على الإرهاب (التدخل الدولي في العراق أنموذجا)، المجلة السياسية والدولية، (د.ع)، (د، س)، ص 222.

- إصدار قوانين مكافحة الإرهاب وأمن الطيران والقانون الوطني الأمريكي.
- إنشاء محاكم عسكرية لمحاكمة غير المواطنين المتهمين بالإرهاب.
- إعادة هيكلة مكتب وزارة العدل ومكتب المباحث الفيدرالية.

2-**سياسة الأمن الخارجي**: وفيه قامت الولايات المتحدة بمراجعة:

- المعلومات الاستخبارية.
- سياسة الدفاع الأمريكية.

كما عملت على إعادة التوازن لقدرة القوات المسلحة- العمل على بناء القدرة الازمة للتعامل مع حروب المستقبل وزيادة الاتفاق العسكري، لم تكتفي أمريكا بهذا لذا قررت:

- استخدام الإعلام كديكتاتور أكبر يحمل وحشيته.
- دعم وتزعم معظم حركات المجتمع المدني ولو من وراء ستار أو ظهور أو إشعار بوجود أمريكا.[1]

كان رد فعل الولايات المتحدة قوي بأضعاف قوة العدو إذ سعت جاهدة للإيقاف هذا التسلط والعبودية واسترجاع حقوقها وخيراتها المسلوبة، وهذا ما استنبطناه من خلال مرجعتينا السابقة لأحداث 11 سبتمبر 2001، فكمثل هاته روايات << أصبح القارئ لا يرى إلا أجواء الموت الجسدي والروحي، ولا يرى إلا مجموعات بشرية يحركها الخوف والحذر والحفاظ على الحياة، التي أصبحت تحت وطأة بشر جرد من الإنسانية بين تواطأت السياسة، وبطش الإرهابيين>>[2] ، هذا الكلام يتطابق مع ما رأيناه في رواية "محال" ففي بعض الصفحات وجدنا أقصى أنواع العذاب الذي قد يعيشه المجتمع. فقد أصبحت الرواية كوسيلة للوصول إلى السلطة بطريق غير مباشرة وهذا ما أكدت عليه " سعاد عبدالله العنزي" في مقولتها الشهيرة << كثيرا من الروايات التي تحدثت عن الوصول إلى السلطة بوصفها محفزا من محفزات الإرهاب، فمما الشك فيه أن السلطة بريق يعمي ويذهل الأبصار، ومكانة يتوق الناس للوصول إليها وهذه الجدلية قديمة كقدم التاريخ؛ فكم حرب وغازات شني من أجل الوصول إلى كرسي الحكم، وللسلطان والجاه

[1]- م. د. محمود عبدالرحمان خلف، م. م. وسام خليل ابراهيم، السياسة الأجنبية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، العدد 48، جامعة بغداد ، ص(121، 123).

[2]- سعاد عبد الله العنزي، (صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 88.

والنوابع المالية والاجتماعية، الأمر الذي جعل الحكام يتخاذلون في العمل وعن مراعات مصالح الأمة بشكل عام من دون الالتفات إلى منافع الشعب سوى بريق هذه السلطة>>[1].

من هنا نقول أن هذه الأخيرة أصابت في قولها إذ نلاحظ طغيان النظام السلطوي على الشعب وعدم تحمل مسؤوليتهم أصبح شغلهم الشاغل تحقيق مصالحهم الشخصية بكل أنواعها من بينها الظلم الاضطهاد السياسي والاجتماعي إذ تقيد حريات المواطنين ومنع المعارضة والحركات الاجتماعية، كما يمكن للسلطة الحاكمة تقييد حرية المشاركة السياسية وحق الشعب في اختيار الحكام من خلال تزوير الانتخابات وغيرها من الأعمال الفاسدة.

فظلم السلطان على شعبه يعد انتهاكا خطيرا للعدالة والديموقراطية لذا من الضروري وضع حد لإيقاف هذه المجزرة ومعاقبة كل من يعتدي على حقوق المواطنين ويحاول إفساد علاقته وتعقيد حريته وهذا ما أمرنا به الرحمان في قوله:<< إنما جزاء الدنيا يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الأخرة عذاب عظيم>>[2].

في البداية كان الحرب على الإرهاب معركة أفكار لكن بعدها تحولت لدمار. ففضل تطور التكنولوجيا التي عرفتها الولايات المتحدة لم تضيع فرصة استخدام القوة العسكرية إذ شرعت في اتخاذ إجراءات وآليات خطيرة شملت (الانتشار النووي– الأسلحة الكيمائية – الأسلحة البيولوجية) وغيرها من الهجمات القاتلة.

استطاعت أمريكا نفط الغبار الذي كان يغطيها وطرد العدو الذي كان يحاصرها وأفلحت في استرجاع مكانتها وخيراتها وأصبحت اليوم من الدول الكبرى وصارت قدوة تسير بها الإنسانية جمعاء سنلخص في هذا الجدول أهم ما جاء في تقرير لجنة الكونغرس الأمريكي و صحيفة نيويورك:

سقوط الحصن	– مواجهة العدو الشيوعي بمساهمة وسائل الاتصال والحواسب العجائب التي خلقتها الروح الأمريكية والتي أطلقها السوق من عقالها.
الحرب الأولى على العراق	– اعتبرت البداية الفعلية لميلاد عالم أمريكي جديد حيث استغلت الولايات المتحدة فرصة نزاع خفيف قد جرى ولقنت العراق أقسى الدروس.

[1]– المرجع نفسه، ص25.

[2]– سورة المائدة، الآية 33.

11 سبتمبر: لماذا يكرهوننا؟	– تشكل هذا التاريخ بمثابة إضافة نوعية لإخفاقات الإدارة الأمريكية في التقاربات من المجتمعات المسلمة قصد وضعها بين مطالب النظام العالمي الجديد.
غوانتانامو	– عبرت الإدارة الأمريكية من خلال هذا المعتقل عن أمرين هما: عدم امتثالها لمعاهدة "جنيف" وعدم امتثالها للدستور الأمريكي نفسه فيما يخص الوضعية القانونية لسجناء الحرب.
الحرب الثانية على العراق	– اجتاحت أمريكا العراق رغم قوة الاحتجاجات الشعبية عبر العالم ورغم تحذيرات الأوروبيين لها وقد يكون الحرب على العراق راجع إلى حسابات جيو–سياسية.
البيت الأبيض	– ظهرت فيه لعب أوراق القادة الأمريكية وهو المقر الرسمي للرئيس "جورج د بليو بوش" وفيه حسمت الكثير من القرارات ضد العراق.
موقع البعد السوسيو–ثقافي منحت اهتمامات النظام العالمي الجديد	– خرجت الولايات المتحدة منتصرة من رحم الحرب الباردة إذ أصبحت الفلسفة المؤسسة للنظام العلمي الجديد فلسفة أمريكية محصنة.
الحجاب: رمز لعنف محتمل أم خاصية ثقافية لا غير.	– اتهمت المرأة المتحجبة بتصرف ديني غير مقبول ولم تعد تمر بأمان، فبعد أحداث الحادي عشر سبتمبر حدثت بعض الاستفزازات ضد المسلحين بفعل الانتماء الديني للمهاجمين، لكنهم نسوا أنهم عند الله كلهم سواسية كأسنان المشط

المبحث الثالث: المكان بين الواقع والتخيل الروائي.

تعتبر الرواية المكان الذي يجمع بين دالتين أساسيتين هما(الواقع والتخيل) فالمبدع يختار لعمله الأدبي أحداث وشخصيات داخل قالب مكاني معين قد يكون هذا الأخير كما وجد في الواقع أو يخلف من قبل الراوي كمكان خيالي وعالم سحري، فيتم استخدام الواقع كنقطة انطلاق للأحداث والشخصيات التي تمثل التخيل الروائي، ومن خلال التخيل يمكن للروائي بدوره أن يصف أحداثا ومواقف تتجاوز هذا الواقع المألوف والمعروف، ويفتح للقارئ مجال التأويل ويجعله يتفاعل مع النص ويبدأ بتخيل الأمور التي يصفها الراوي وهذا ما يسمى بالقارئ الحقيقي.

فالمكان يشكل عنصرا أساسيا يعطي في تشكيله بعدا جماليا ويخلق توازنا بين الواقع والتخيل، فغالبا ما يكون مألوفا للمتلقي وفي نفس الوقت يتصوره بطريقة تجعله مختلفا عن المعروف وغالبا ما

يكون غريبا فيحدث فيه خيبة أمل لم يكن ينتظرها فتنصهر أفاقه، فكل قارئ ومرجعتيه العلمية الخاصة به، لكن يبقى المكان موضعا للتخيل والإبداع بغض النظر عن شكله ونوعه وهو الذي يمثل بوابة فنية تسمح للمرسل بإدخال المرسل إليه إلى عالمه الخاص الفريد من نوعه وقد يكون أداة لخلق جو معين وإثارة الانفعالات والمشاعر لدى القارئ، وحتى يمكن أن يكون بمثابة شخصية إضافية في الرواية. سوف توضح هذه النقاط في المخطط الآتي:

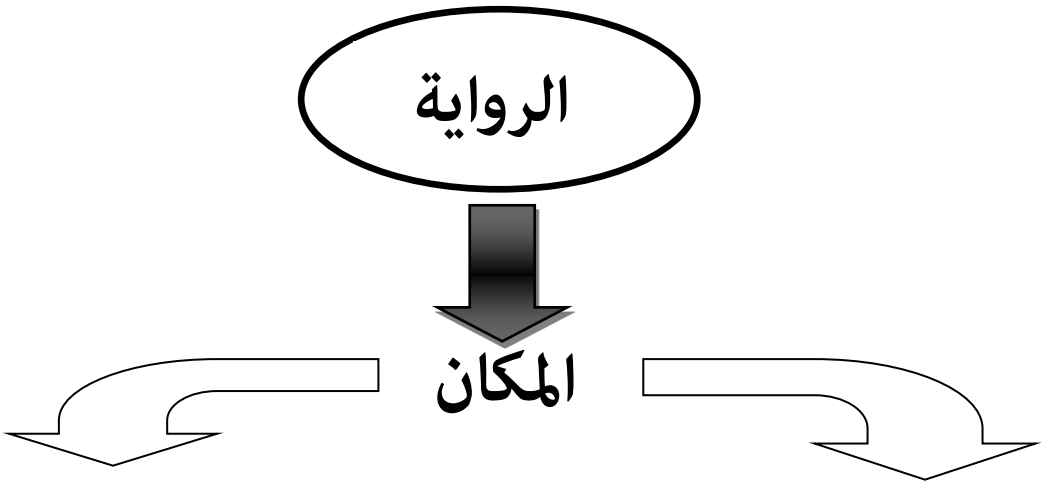

الواقعي:

-فيه تجري الإحداث ويصف الموقع الفعلي الذي يحدث فيه النص.
-قد يكون (مدينة، قرية أو بلد).
- قد يشمل (شوارع، مباني، مناظر طبيعية).
-يستخدم للوصف الدقيق.
-يمكن أن يتأثر بعدة عوامل (الزمان الطقس الشخصيات).

التخييلي:

-يتم إنشائه بالخيال والإبداع .
- قد يكون عالما خياليا كاملا أو أجزاء منه.
-يتم استخدامه لخلق مغامرات لا يمكن العثور عليها في الواقع.
-يستخدم للسحر والغموض لإظهار مواطن الاختلاف الذي تكتشفه الشخصيات.
-يمكن أن يكون له تفاصيل وقوانين مختلفة عن التي نجدها في العالم الحقيقي.

تعريف المكان والمصطلحات المجاورة له:

تعد دراسة المكان كعنصر بنائي الذي يساهم في شيد الرواية على أنها ضرورية من أجل كشف ومعرفة خصائص الفن وما يميزها من روائي إلى روائي آخر من الدراسات والأبحاث وهذا ما دفع بنا إلى البحث عن ماهية المكان.

مفهوم المكان لغويا:

إن كلمة "مكان" مشتقة من (فعل الكون)، وهذا الفعل يتضمن من معانٍ، وعندما نستعمل فعلا تاما على الأقل معنى" الوجود" في معظمه، ومعنى " الحدوث" في باقية ووزن فعل الذي صيغت عليه كاملة مكان، يبنى لبدل عب "الحين ""والوعاء" الذي يقع فيه الفعل ، ففي هذا الإطار المحدد يمكن أن نقول إن كلمة (مكان) تعني "حيز" الوجود والحدوث أو كليهما معا[1].

مفهوم المكان اصطلاحًا:

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد ، حيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فعلا وجود للأحداث خارج المكان، حيث أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين، وهذاما ذهب إليه الباحث السينائي "لوتمان" المكان بقوله" وهو مجموعة من الأشياء المتجانسة(من الظواهر، أو الحالات أو الوظائف، أو الأشياء المتغيرة....)، تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة، العادية مثل الاتصال، المسافة...[2].

أما الناقد حميد لحميداني: في قوله: << إن الأبحاث المغلقة بدراسة القضاء في حكي تعتبر حديثة العهد ومن الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة في القضاء المكاني مما يؤكد لأنها أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق، ثم إن الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اتجاهات متفرقة لها قيمتها ويمكنها إذا هي تراكمت ان تساعد على بناء تصور متكامل حول الأبحاث>>[3]. وعلى هذا الرأي أسس مذهبه على مذاهب إليه هنري متران:<< لا وجود لنظرية مشكلة من قضائية حكائية، ولكن هناك فقط مسار للبحث مرسوم بدقة كما توجد مسارات على هيئة نقطة متقطعة>>[4]. ومن هنا نستنتج أن لما تطور الخطاب الروائي أعطى أهمية كبيرة للمكان باعتباره مكون أي في الرواية حيث أبدع الأدباء في تشكله وتصويره داخل النص. ولهذا لم يبقى المكان في نظر الدارسين مجرد رقعة جغرافية من حيث جماليته الكامنة في الخبرة الإنسانية ومن حيث تجاربه في الحياة ، وكانت هذه الصورة واضحة لدى "غاستون باشلار" عندما تحدث عن المكان وعلاقته بالإنسان في قوله:<< إن

---

[1]– ب. ك. و. ديفيس، أستاذ الرياضيات الطبيعية، ترجمة د. أدهم الشتمان، ط1، بيروت، سنة 1977، ص7.

[2]– يوري لوتمان ، المكان الفني، تقديم وترجمة سيرا قاسم، مجلة عيون، العدد 8، المقالات، سنة 1987، ص 69.

[3]– حميد لحميداني، بنية النص السردي(من منضور النقد الأوربي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة1، آ ب، بيروت، سنة 1991، بيروت، ص 53.

[4]– حميد لحميداني، بنية النص السردي(من منضور النقد الأوربي)، مرجع سابق، ص 53.

المكان الذي ينجذب قوة الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كل ما في الخيال من تميز ، إننا نتجذب لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالجمالية في كامل الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية>>[1] . وأكد هذا الرأي الناقد "ياسين النصر" في مفهومة للمكان<< بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه لذا فشأنه أي نتاج اجتماعي خر يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي>>[2].

ولما كانت الشخصيات تختلف في وجهات النظر ومتوازيات الثقافية والفكرية لأنها تنظر إلى المكان نظرة مختلفة تشخصه بلغتها التي تعبر عن تصوراتها إلى جانب لغة الراوي التي تقدم عناصر الرواية هذا ما ذهب إليه "حسن براوي" في قوله: << وتأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان الذي بوصفه شبكة من العلاقات والروايات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الذي ستجري فيه الأحداث>>[3] .

وكذلك يشير إلى أهمية المكان في ظهور دلالة الزمان، حيث أن الزمن لا]اخذ دلالته إلا من خلال المكان التي فرضت فيها الرواية ومن هنا أشار الناقد الفيلسوف "غاستون باشلار" حين بين في هذا القول أإلى ارتباط الزمن بالمكان فيقول << في بعض الأحيان نعتقد أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان، والذي يود حتى في الماضي، حيث يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن>>[4] .

---

[1]– غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، ط2، سنة 1984، بيروت، ص 31.

[2]– ياسين نصر، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العمة، العراق، بغداد، (الموسوعة المصغرة 190)، د. ط، سنة 1986، ص 16.

[3]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط 1، سنة 1990، بيروت، ص32.

[4]– غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع ، سنة 1984، بيروت، ص89.

أما بالنسبة إلى "مهدي عبيدي" يرى أن << المكان لا يعتبر عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عددية بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله >>[1] ، أي أن المكان يعتبر مهما في الرواية ويعد أحد الركائز الأساسية في الرواية لأن المكان أحد العناصر الفنية أو أنه المكان الذي تجري فيه الأحداث.

كما وردت لفظة المكان في القرن الكريم بعدة سياقات على سبيل التمثيل قوله تعالى: <<... **جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان**>>[2]، سورة يونس الآية 22، وفي قوله أيضا: << **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا** >>[3]، سورة مريم الآية 16.

1. المصطلحات المجاورة للمكان من حيث المفهوم هي:

1. الامتداد: ويرجع إلى (المدة)، وهي في اللغة الغاية من الزمان والمكان وقد ورد مصطلحا على أنه << الجزء من المكان، وهو متناه، أما المكان فغير متناه>>، أما الفلسفة الحديثة فيعد (الامتداد جزأ من المكان) كقولهم:<< الامتداد خط محدود أو سطح محدود أو حجم محدود، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة إلى المكان كنسبة المدة إلى الزمان >>[4].

2. الفضاء: لقد عرف "حسن البحراوي" في بحثه بنية الشكل الروائي مصطلح (القضاء) اهتماما بالغا حيث خصص مبحثا كاملا لتعريفه وتطويره ونشأته في الدراسات النقدية العربية الحديثة، ولقد أستنتج تعريفا له بعد أن ذكر آراء عديدة حول الفضاء مما جاء هذا التعريف قوله:<< ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات والشخصيات التي يستلزمها الحدث والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها...>>[5].

---

[1]–مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سنة 2011، ص35.

[2]– سورة يونس، الآية 22.

[3]– سورة مريم، الآية 16.

[4]– د. -غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مقوماته، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية ، ع2، المجلة 11، سنة 2011، ص 54.

[5]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)،ط1، المركز الثقافي العربي، ، سنة 1990،بيروت، ص51.

أما "حميد لحميداني" اضطر أن يستعمل مصطلح "الفضاء" في دراسته وبحوثه عوض من مصطلح "المكان "لأن مصطلح المكان تحيط به مجموعة الأشياء مثل: المقهى، الشارع.....ولهذا وضع ذلك من خلال قوله: << إن جموع هذه الأمكنة ، هو ما يبدو منطقيا، أن تعلق عليه اسم، فضاء الرواية، لأن أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، فالمقهى أو المنزل، أو الشارع، كل واحد منها يعتبر مكان محددا، لكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها تشمل فضاء الرواية>>[1] .

3. **الحيز:** كان الحيز محل للنقاش بين النقاد والدارسين من أجل تحديد مفهومه وتشكيل بنائه السردي ولهذا عرف "عبدالمالك الرياض" كلمة الحيز بدلا لكلمة الفضاء من خلال هذا القول: << وإذا كان للمكان حدود تحده ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربة كتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل ، حيث يغتدي الحيز من بين المشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة...ولا يجوز لأي عمل سردي(حكاية، خرافة، رواية، قصة...) إن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو، عنصر مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن وربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطا عفويا>>[2].

4. **الخلاء:** وهو صفة من صفات المكان، ففي اللغة:<< خلا المكان والشيء يخلو، بخلو خلوا، وخلاء وأخلى إذ لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه>>، والخلاء عند الفلاسفة من<<خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله>>[3].

2. المكان مكونا للسرد الروائي:

<< المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم، وهذا ما فعله "مارسيل بروست" حين عمد إلى تدمير المكان الواحد وجعل الأمكنة دائما متداخلة بحين سنسخ أحدها

[1]- حميد لحميداني، النص السردي (منظور النقد الأدبي)، ط1، المركز الثقافي العربي، سنة 1991، بيروت، ص61.

[2]– عبدالمالك مرتاض، (في نظرية الرواية) ، بحث في تقنيات السرد، ديسمبر 1989، ص 125.

[3]– د. غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مقوماته، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية ، ع 2، المجلة 11، سنة 2011، ص255.

الأخر في اللحظة الواحدة...>>[1]، فالمكان يستحوذ على ذهن الكاتب منذ الوهلة الأولى التي يفكر فيها بالكتابة، ويزداد هذا الاستحواذ حين الشروع في نسج العلاقات القائمة بين أجزاء الرواية ليأخذ المكان موقعا مميزا عن بقية العناصر.<< ويدخل المكان في علامة حميمية مع الأحداث فيعمل على التأثير في نوعية الحدث الواقع داخل الخطاب، ويوجه خطة داخل السرد، فالمكان عنصر داخلي يسهم في بناء العمل، ولا بد للأحداث أن تتطور في إطار زماني ومكاني، ولذلك فإن اهتمام الكتاب بهذا العنصر لا يعد ترفا أو زخرفا جماليا>>[2]. فالروائي لم يضع المكان احتياطيا أو عشوائيا بل كان لهذا الوضع دراسة سابقة متفقا عليها، وعن الناقد "حسن بحراوي" إذ قال عن المكان << وذلك لأن تعين المكان في الرواية هو الثورة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي>>[3]. فالمكان لا يتجزأ من العمل الروائي فيه يستمد المبدع طاقته وأفكاره وبه يتأثر إما سلبا وإما إيجابيا لذا عليه أن يحسن انتقاء الأماكن التي هو في صدد الكتابة فيها لأنها ستكون حتما مرآته العاكسة لكل أحاسيسه.

3. خصائص المكان السردي:

تعتبر رواية "محال" للكاتب المصري "يوسف زيدان" من أكثر الروايات الواقعية، وتتميز بأسلوبها الفني ووصفها المتقن لتيمة المكان، إذ تقدم رؤية واقعية ودقيقة له وتجسد بدقة تفاصيل البيئة والمواقع التي يحدث فيها السرد لدرجة تشعر القارئ حاضرا في زمن ومكان وقوع تلك الأحداث، فنلاحظ أن "زيدان" التزم بتنقل الواقع بكل موضوعية بعيدا كل البعد عن ما سبقه، دون إهمال الجمالية الفنية التي يستخدمها المبدع كاستراتيجية لجذب القراء، فرسم لنا كل المعالم المتعلقة بالرواية كما هو دون زيادة ولا نقصان، ويمكنن القول بأن المكان هو سلطان باقي المكونات السردية التي تخضع له ولقوانينه ومبادئه التي يحددها طابع النص والمكان هو جوهر النص وكلما أحسن الكاتب توظيفه في الرواية كلما ترسخت قيمته وحددت مواقعه، فالمكان أصلا متعلق بمقدار تجربة المبدع المختلفة، والتي قد تحمل عدة دلالات من (اجتماعية، تاريخية، فلسفية، سياسية...)، << فالإنسان هو المتصرف في الفضاء، وهو المنتج

[1] – د. حميد لحميداني، بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي للطباعة والنشر ، بيروت، ط1، سنة 1991، ص70.

[2] – بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، دار الكتب الوطنية، ط1، سنة 2004، ص48.

[3] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

الفعلي لدلالات هذا الفضاء، والروايات نفسها تجهد لتكون نسخة من عالمه وعينه من بعض مناحي واقعه، فهي بالتالي مفصحة عنه، عاكسة لصورته وجملة مركبات حياته>>[1].

فلذا الإنسان إين بيئته ولا يمكن أن يعيش منعزلا عنها ويشكل له المكان الدعامة الأساسية التي يرتكز عليها بوصفه كائن يمارس حقوقه فيه.

من خلال تتبعنا لأحداث هذه الرواية تبين لنا أن الروائي "زيدان" قد نقلنا من مكان إلى مكان واتخذ هذا العنصر كنقطة انطلاق، واعتمد إلى حد ما البعد الجغرافي الذي يصف المكان الذي يصف المكان بطبيعته وتضاريسه إذ مراه بذكر أماكن حقيقية تتطابق مع الواقع حتى يمكن القارئ من مسايرته للوصول إلى مراضيه الأكثر بعدا وعمقا ورمزية، لاحظنا أن المبدع طرح بعارضات قائمة بين الأمكنة الضيقة والأمكنة الفسيحة وبين الأمكنة المركزية والهامشية وغيرها...

رواية «محال" عبارة عن مزيج بين التاريخ والجغرافيا التي تستخدم في الروايات لتحديد المكان والزمان، حيث تميد الأحداث على مراحل تاريخية مختلفة، وثم وصف المناطق الجغرافية والمدن بدقة، مما يعطي للقارئ صورة واضحة للمكان الذي تم وصفه، ف "زيدان" قد استخدم اللغة البديعية والتشبيهات والتفاصيل الدقيقة لنقل جو المكان وتوصيل تجربة الشخصية الروائية فيه.

يعتبر الموقع ميزة من ميزات المكان الواقعي الذي استخدم الكاتب في روايته، فعادة ما يكون الموقع الجغرافي قريب من متاجر، مستشفيات، والمتاجر، والمدارس، وسائل النقل العام كالباص الذي ذكره أكثر من ثلاث مرات في قوله:<< لا يبعد الطريق من موضعه المختار لصيد السمك، عن ميدان محطة القطار بأكثر من عشرين دقيقة سيرا بالباص>>[2]، وقد استخدم هنا لغة بسيطة سهلة الفهم ، إلى جانب هذا نجده يصف لنا الطرقات والشوارع الواسعة التي تسمى بالتصميم الحري الممتاز، التي تعزز جودة الحياة ويسهل التنقل، كما وصف لنا مناظر طبيعية خلابة التي تعطي قيمة إضافية للمكان وبها يتمتع الناس بفرص لممارسة الأنشطة في الهواء الطلق، كالجبال والشواطئ والبحيرة التي إبتدأ فيها روايته والتي تعتبر المكان المفضل ل "علي" ف <<روحه ترتاح عند حواف البحيرة، فيأتي إليها دوما بعد صلاة الفجر ويرمي بوصة الصيد في الماء، ثم يسكن حتى تطمئن سمكة وتنخدع بالطعم فتعلق في الطرف

[1]– عبدالصمد زيدان، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي، تونس، د. ط. ، 2003، ص 10.
[2]– يوسف زيدان، محال، دار الشروق للنشر، مصر، القاهرة ، ط.1، 2012، ص 15.

المغمور وتصير طعاما...>>[1] ، فواضح كيف أن هذا البطل مهووس بالبحيرة فهي التي تحوي الأسماك والطيور المائية والنباتات وهي أجمل مكان للاستجمام والترفيه وهي رمز للسكينة والهدوء ورمز للحياة المستقرة، فقد نجح "زيدان" بنقلها لنا بلغة جميلة سحرية تؤثر في القارئ وتجعله يتوق لمعرفة الأحداث التي تأتي لاحقا، لم يكتفي بهذا بل وصف لنا الطبيعة الصعيدية والصحراوية بشكل واقعي وجذاب وبلغة غير مباشرة حيث وصف الصحراء والمسافات الشاسعة المكشوفة التي تعطي هذه الطبيعة الخلابة جوا قاسيا وجافا يعكس حالة العزلة والقسوة التي يعيشها أهل المكان التي عاشتها الشخصية في هذه الرواية.

فوصفه للأحداث كان مفصلا بشكله العام وكل الأماكن التي ذكرها في بدية روايته كلها عبرت عن الوداعة والسلام لينقلنا لاحقا إلى الأماكن التي عكست الرعب والحرب على الإرهاب فهذه الرواية تأثرنا بإيقاعها المتسارع لنتتبع مصير بطلها من الأقصر للخليج ثم لأزباكستان ثم أفغانستان إلى معتقل جوانتانامو.

نوع "زيدان" في وصفه للكشف عن زئبقية المكان وقسمها إلى أماكن حب وسلام إلى أماكن حبّ وسلام إلى أماكن خوف وظلام ، ونوع في وضعه للمدن ووضعها في تجاذبات وتقاطبات ودلالية.

ويبقى المكان الواقعي امتدادا طبيعيا لحياة الإنسان والسبيل الوحيد للتعمق والتوسع في أي عمل إبداعي، وهو الذي يعكس عالمنا الحقيقي دون زيادة ولا نقصان ويشكل بيئة تجسد تفاعلاتنا وتجاربنا.

[1]–المرجع نفسه، ص 8.

المبحث الأول: دلالة عنوان الرواية/ العناوين الفرعية:

أولا: حول العنوان الرئيسي:

لقد حظي العنوان باهتمام كبير من قبل النقاد والدارسين، وعرف تطورا ملحوظا خاصة يعد ظهور البنيوية ليصبح من مجرد عتبة من عتبات الأعمال الروائية إلى علم يتسع مداره إلى الأساسيات وعلم الاجتماع، لما له من دلالات تجعله قابل للتأويل، فالعنوان يشكل أفق انتظار لدى المتلقي وتجعله إما متفقا مع مضمون النص إذا نجح عنوانه أم يخلق في نفسه خيبة أمل صادمة، فتحليلنا للعنوان يعني تفكيكه وتخزينه من بنية كبرى إلى بينات صغرى حاملة لعدة رمزيات وعلينا أن نتعامل معه كلغز مجهول لنتمكن من الوصول إلى حل معلوم وعنه قال الدكتور "جميل حمداوي"<< العنوان هو الذي يوجه قراءة الرواية أو يسعى بدوره بمعان جديدة، بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية فهو المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث، وبه يستماع إيقاع نسقها الدرامي وتأثرها السردي، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص>>[1]، فالعنوان هو أول رسالة يتلقاها القارئ عند النذظر إلى الرواية، وهو بمثابة رأس للجسد يحمل بعدا جماليا وسحريا يؤثر في القارئ، ويتمتع بخصائص تجعلنا نتصفح أسطر العمل الفني كبساطة العبارة وكثافة الدلالة كما كان الحال مع الرواية التي نحن في صدد تحليلها فبمجرد تحليلنا لعنوانها الرئيسي تبين أنها:

- ذات عنوان صغير وبسيط لكنها حملت معنى كبير.
- نلاحظ أن الكاتب لم يختر مطلق الجمع ولا علاقة الإسناد في عنوانه بل اكتفى بلفظة واحدة (محال)، وفضل أن يتركها كما هي ليضع القارئ في حيرة ويجعله يتفاعل مع الرواية ومضمونها.
- العنوان بشكله العام يثير الانتباه ويطرح تساؤلات عديدة حول هل محال معناه مستحيل؟ هل هو أماكن؟ هل هو يفتح الميم؟ هل هو يضم الميم؟ لماذا وضعه الكاتب وحد؟ لماذا اختار له اللون الأسود دون غيره؟

انطلاقا من هذه التساؤلات يتراءى للباحث أن سيميائية العنوان جعلتنا نقرأ كلمة "محال" على ثلاثة أوجه، ف "مُحال" يضم الميم من الاستحالة والرفض، و "مَحَال" يفتح الميم من كثرة الترحال والسفر

[1]–جميل حمداوي، سيم وطبقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر، ط2، 2020، ص 33.

عبر أمكنة مختلفة، أما الوجه الثالث فهو "مِحال" بكسر الميم من القدرة والمكر والخيانة الي تعرض لها بطل الرواية في مجريات درامية من أحداثها.

بمجرد ولوجنا إلى الرواية وتصفح كل أحداثها لا حظنا أن:

— "زيدان" كتب العنوان باللون الأسود القاتم المائل إلى الرمادي ليدل على الدمار والحرب التي عاشها "علي" حينما أصبح محاصرا من كل الجهات، ومعاناته من الاستبداد والسطوة السياسية التي ذوقته كل أنواع القهر والذل والعبودية، وهذا ما يجعلنا نتساءل كيف لإنسان بسيط همه الوحيد إكمال دراسته ويكون حرا مطلقا بين بلده وأهله أن تعد جريمة يحاسب عليها القانون، والكاتب ليجعلنا نتساءل أكثر حول ما تحمله الرواية والف ومزج اللون الأسود باللون الأصفر الذي ربطه بلون الشمس والغد المشرق وهو لون الذهب والزينة ولون الأمن والاستقرار والسلام وطلوع الفجر بعد ليل طويل في زمن كثر فيه الصراع، ف << إن مع إنّ مع اليسر يسرى>>، لم يكتف المؤلف بهاذين اللونين بل أضاف اللون البارد الوردي الذي يدل على الحب الذي عاشه البطل مع حبيبته والعشق الذي جمعهما، أما اللون الأبيض فقد تركه للواجهة الخلفية ليختم رؤيته بالتسامح والتصالح والمودة والمحبة وهو اللون الذي قد يعيشه الفرد وكيف يتمكن من الخروج من ظلام الاستعمار إلى نور الاستقلال.

— لاحظنا من العنوان أن الرواية حملت بعدا سياسيا ولكون الإنسان كائن حي فضولي بطبعه فلابد أنه تساءل حول ما يدور داخلها من تجارب.

— الجملة الاستهلالية التي يفتتح بها الروائي مبناه الحكائي تعد من بين الاستراتيجيات التي يستخدمها والبوابة التي يلج القارئ من خلالها إلى لنص بداية من جزئه إلى كله لقدم لها رؤية فكرية عميقة في فهمه للوجود، ونحن أمام مفكر يقدم لغة الفلسفة الصوفية التي اعتمدها في روايته إذ افتتحها قائلا:<< الحياة تبهرنا بالبراق من ألوانها كي نرتاد دروبها فرحا وغفلة، ثم تفاجأنا بجنايا والصوادم؟ أم تراها تحتال علينا... >>[1]، فالحياة مليئة بالمفاجئات والالتباسات، فتارة تكون كالبستان المليء بالورود والألوان تشع نورا وتارة كالعالم الغامض كله ظلام.

[1]– يوسف زيدان، مرجع سابق، ص 7

لا مراء أن العنوان الرئيسي لأي عمل أدبي هو أول ما تقع عليه عيناي القارئ، إذ يعتبر مطلع البحث فينبغي أن يكون جديرا مبتكرا لائقا بالموضوع، يترك انطباعا قويا في نفسية المتلقي، فبواسطته ينجذب القراء إلى تصفح أسطر الكتب، وواجهة العنوان الدلالية هي التي تساعد الباحث في الولوج إلى أغوار النص لفهم مقاصده ودلالاته، لذا وجدنا أن الدلالة الأولية لرواية "محال" تحيل إلى حادثة تمس أمن الدولة ألا وهي "الإرهاب" والعنوان << هو أول عتبة تضيئ غوامض النص أو تفك رموزه >>[1].

من هنا نقول أن الكتاب يتعرف من خلال عنوانه فهو يلعب دور كبير في فهم مغزى النص باعتباره العتبة التي يلجأ إليها القارئ، لهذا أصبح العنوان ضرورة ملحة ومطلب أساسي في أي نص أدبي.

ثانيا: حول العبارة الاستهلالية:

يستخدم الكاتب العناوين الفرعية كجواب للأسئلة التي يطرحها الباحث في العنوان الرئيسي، فالعناوين التي انتقاها "يوسف زيدان" في روايته "محال" جاءت لتختزل نص المرسل والمرسل إليه عند قراءته الأولى للعناوين وقد نجعل الرواية قابلة لعدة تأويلات من اقبل القارئ، وتجعله من مستهلك فقط إلى منتج ثانٍ.

لهذا سوف نفصل هذه العناوين أكثر ف الجدول الآتي:

العنوان الفرعي	الصفحات	عدد الصفحات
كلابشه	من 07 – 29 صفحة	23 صفحة
البر العربي	من 31 – 74 صفحة	44 صفحة
كرموز	من 75 – 90 صفحة	16 صفحة
المنتزه	من 91 – 116 صفحة	26 صفحة
الخليج	من 117 – 151 صفحة	35 صفحة
بخارى	من 152 – 193 صفحة	41 صفحة
قندهار	من 195 – 244 صفحة	50 صفحة

[1]– شادية شقرور، سيمائية الخطاب الشعري(في ديوان مقام البوح الشعبي عبدالله)، عالم الكتب الحديث للنشر، مصر، 1994، ص 32.

تبين لنا من خلال هذا الجول أن "زيدان" قام بتقسيم روايته إلى سبعة أجزاء، حيث يعتبر كل جزء سابق مكمل للجزء الاحق فقد استهل روايته بمكان سماه:

❖ كلابشه

هو المحيط الذي نشأ فيه "علي"، استهل بها الكانب روايته ليجعلنا نلتبس ونستخلص نوعا من الرمزية، حيث ترمز هذه المنطقة إلى الجذور والهوية الثقافية للشخصية الرئيسية، فالقرية تعتبر مكانا يمتلك طابعا قرويا تقليديا قويا، وتعكس الثقافة والتقاليد والقيم التي تربى عليها الفرد، ومن خلال العودة إلى هذا المكان نكون قد عذنا إلى الأصالة التي أمست شبه مفقودة في المجتمع المعاصر، فبمجرد الابتعادعن الوطن الأصلي يجعل الفرد يحس بالغربة والتبعية في مجتمع حضري ويحن للعودة لأهله ليجد الروحانية والسلام الداخلي، فكلابشة يعتبر مكانا مقدسا.

— أشار الكاتب إلى نشأة البطل وذكر كل احلامه وأعماله وما يقوم به في حياته اليومية.

❖البر الغربي:

هي المحطة الثابتة التي ذكرها " يوسف زيدان" في روايته، يعكس البر العربي في الرواية رغبة الشاب في الهجرة والسعي وراء حياة أفضل في غير وطنه الأم، ويمثل فرصة لتحقيق الحلام والطموحات، ولكنه في نفس لوقت يعني الابتعاد عن الأصول الثقافية والهوية والأهلية، فلاحظنا أن الرواية أظهرت توترا مستمرا بين الاندماج في المجتمعات الأخرى والحفاظ على هويته، كما يرتبط البر الغربي في الرواية بالفقر والهماشة الاجتماعية الي يعاني منها العديد من الشباب وهو فرصته للهروب من الفقر وتحقيق التقدم الاجتماعيوالاقتصادي، فعكس هذا المكان الصراعات النفسية لهذا البطل التي تواجهه في بلدان غريبة عنه حيث يشعر بالغربة والعزلة وصعوبة التكيف مع البيئة الجديدة فالبر الغربي تصور لنا تأثيرات الغربة على الهوية والعلاقات الاجتماعية وركز "يوسف" زيدان" في هذا الفصل على:

- رحلة "علي" مع الطلبة وتعرفه على الأصدقاء جدد من بينهم "سهيل" وكيف تعرف على فتاته" نورا" أول مرة.

❖ **كرموز:**

هي محطة يسميها الإسكندريون محطة مصر، هي التي تبيح الرحلات الداخلية والدولية للقطارات، ويعتبرها المصريون مركزا حيويا للتنقل وتمثل مكانا هاما في الأدب والفن المصري، ركز عليها "زيدان" لأنها تعتبر جزء من بلده ووصفها في أحسن وجه في هذه الرواية حيث ذكر سقف المحطة العالي والحوائط الأنيقة المحلاة بالزخارف ففي هذا الفصل ركز "زيدان" على وصف:

- انبهار "علي" بمحطة مصر التي جعلته يعيش عالم غير العالم الذي كان يعيشه وجعله يعيش تجربة خرافية خاصة مع "نورا".

❖ **المنتزه:**

هو مكان مهم في غربة هذا الشاب، إذ يستخدم المتنزه كمكان التلاقي والتفكروالتأمل، حيث يلتقي بشخصيات مختلفة ويجري حوارات معهم كما يقوم بمراقبة الناس ومشاهدتهم ومحاولة فهم أحوالهما، فالمتنزه هو المكان الذي وجد فيه "علي" الهدوء والسلام الذي يفتقده في حياته، هو المكان الذي يسمح له بتكوين نفسه والتغيير عن أفكاره وأحلامه وذكر لنا الكاتب:

- تجربة العشق التي عاشها البطل مع"نورا" وكيف كان يلتقي بها ليرسم معا مستقبلهما المجهول، وهذا أجمل ما حصل معه فيه هذه الرواية قبل أن تحل به العاصفة.

❖ **الخليج:**

هو الجزء الذي يشمل العديد من الدول العربية ك (الكويت، البحرين، قطر....)، له أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية بفضل وجود ثروات طبيعية ك (النفط، الغاز الطبيعي،...)، وهو مكان يلعب دوره هاما في السياسة الإقليمية والعالمية، وكان لهذا المكان أثر كبيرا على "علي" حيث أستمتع بشواطئه وفنادقه الخلابة، لكن لهذا المكان أثرا كبيرا على"علي" حيث أستمتع بشواطئه وفنادقه الخلابة، لكن هذا الاستمتاع لم يدم، فقد صرح لنا الكاتب:

- احتراقه عن حبيبته بعدما عاد إلى أسوان لجمع بعض المال لتحقيق حلمهما، فقد انقطعت أخبارها وساءت حالته.

❖ **بخارى:**

عكس هذا المكان تفاصيل واقعية في رواية "محال" حيث تعامل معها "زيدان" بصورة رمزية، وعكس الجانب السياسي الذي دفع البطل السفر إلى أكثر من مكان من أشهره أوزباكستان المعروفة بتاريخها الغني وثقافتها القوية إذ تضم العديد من المعبد والمساجد، فأهم ما جرى في هذا المكان:

–سحر "علي" مع مديره ليبدأ حياته العملية الجديدة في شركة للمعلبات وتعرفه على امرأة تدعى "مهيرة" لتصبح لاحقا زوجته.

❖ **قندهار:**

تمتاز هذه المنطقة بمعمارها التقليدي ومنازلها القديمة، وقد أشار الكاتب إلى أنها من أكبي المدن تعرضا للصراعات والاضطرابات على مر العصور والتي لا تزال تعاني من تأثيرات الحرب والعنف، تمتلك هذه المدينة قاعدة عسكرية للقوات الدولية، وهي قاعدة قندهار الجوية التي تستخدمها القوات الدولية المتواجدة في أفغانستان، ركز "زيدان" على ذكر:

–المعاناة القاسية والضربة الموجعة والحادة التي أصابت الشخصية الروائية، والمصائب التي تأتي كسلسلة الواحدة تلو الأخرى والتي باتت تنتشر كالسرطان.

ومن هنا نقول أن الروائي دائما يختار لموضوعه الأحداث الشخصيات داخل مكان معين وزمان معين، فالمكان هو المحور الذي تتموضع فيه الأشياء، والمكانأرتبطارتباطا وثيقا بالوصف حيث يربط الكاتب المكان بالإدراك الحسي ويظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ، ومنه فإن "زيدان" ليقوم بتعريفنا على الأحداث التي جرت في روايته أستخدم أسلوب الوصف لأنه التقنية الوحيدة القادرة على نقل التجربة بصورة مناسبة تجعلنا نعيشها ونتخيلها في أبهى صورة.

المبحث الثاني: أماكن الإقامة والانتقال بين القهر والحرية:

تراوحت رواية "محال" بين الإقامة تارة والانتقال تارة أخرى، نظرا لتباين الأحداث والتجارب التي عاشها البطل، ففي فترة من حياته كان يعيش لحظات هادئة ومستمرة تحديدا بالمكان المسمى "كلابشه الذي اعتبر موطنه نشأ فيه وعاش طفولته البريئة بكل تفاصيلها، وصف لنا الكاتب حياة

الشخصية الروائية وكيف كان شابا متحمسا لأحلامه وستقبله وكيف كانت روحه ترتاح عند حواف البحيرة <<الشاب عشريني العمر، الرائقة سمرته، المستكين في جلسته على حافة البحيرة >>[1]، ركز يوسف زيدان" على الجانب العملي والعلمي للبطل وأخبرنا بأنه كان يدرس ويعمل في الوقت نفسه مع والده ليساعده ويترقى بذلك إلى مرتبة الرجال.

كان البطل يعيش وسط شعب مصري يقدس العمل يقدس العمل ويحبون ترديد الأشجار التي قد تعبر عن قضايا سياسية راهنة إذ يمكنهم من انتقاد النظام والفساد وتدعيم الحرية والديمقراطية من خلال كلماتهم، وكان فرعون عندهم يمثل رمزا للسلطة والقوة العظيمة وكان هو الحاكم الأعلى والملك المطلق، كما يعتبر الوهبة ومرجعية سياسية ودينية وذكر لنا "زيدان" في روايته مشاهدة البطل لهذه الظاهرة تتجلى في قوله: << شهدا مع الحاضرين اللحظة المدهشة، عند قدس الأقداس، وبعد خفوت شعاع الشمس وانزوائه من فوق وجه الفرعون، والآلهة المجاورة، عدا إله الظلام الذي لا يقع عليه الشعاع >>[2].

كذلك ذكر لنا الكاتب مقطع يوضح حمل الرواية للبعد السياسي في قوله:<< وفي الأنحاء رجال الشرطة بالملابس السوداء>>[3]، فلا شك أن هذا اللباس خلف في نفسية "علي" إحساس بوجود فواصل بينهم وبين غيرهم، فدلالة هذا الزى غالبا ما يكون جزءا من وحدات خاصة أو فرق تكتيكية في قوات الشرطة، فتختلف دلالة الزى الأبيض والأسود من بلد إلى أخر وفقا للأنظمة والتقاليد المحلية، فهناك من يراه تعبيرا عن الاستثنائية والتمييز يرتديه الأفراد الذين تم تدريبهم بشكل خاص ويتمتعون بمهارات عظيمة، وقد يعتبر هذا الزي وسيلة لخلق انطباع قوي ومهابة وإظهار القوة والسلطة وتأكيد وجود تواجد أمني قوي ومؤكد، وأحيانا م يستخدم الزى الأبيض والأسود للتمويه والاندماج في بيئة معينة، يمكن أن يكون مفيدا عند تنفيذ عمليات خاصة أو أثناء التعامل مع مجموعات معينة تتطلب التخفي وعدم إثارة الاهتمام، ومع هذا يجب الأخذ بعين الاعتبار الدلالة الفعلية لهذا الربو اختلافه بشكل كبير بين البلدان والوحدات الفرعية داخل نفس الدولة والأخذ بعين الاعتبار الإحساس بالخوف والرعب الذي ينتاب الفرد أثناء رؤيته لمثل هكذا لباس، وذكر لنا الكاتب أن في "أسوان" لا يرحب الناس

[1]– يوسف زيدان، دار الشروق للنشر، ط1 2012، مصر – القاهرة، ص 07.

[2]–المرجع نفسه، ص 19

[3]– المرجع نفسه، ص21.

بالتزاوج بين الجماعات والقبائل فهذا إن دل على شيء فإنه يدل على العنصرية التي يحملها أهل أسوان ونسوا أن الكل عند الله سواسية كأسنان المشط ونسوا قوله تعالى: << يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير>>[1].

رسم لنا "يوسف زيدان" صورة لتناقضات المجتمع والتوترات بين الدين والعقلانية والحرية الشخصية، حيث تدفع رؤية القارئ إلى التفكير في التوازن بين الالتزام الديني وحق الفرد في اتخاذ قراراته الشخصية واختيار مسار حياته الخاصة، ورواية "محال" تأسرنا بإيقاعها المتسارع لتتبع مصير بطلها وانتقاله من مكان إلى مكان فمن الأقصر للخليج مرورا لأوزباكستان ثم أفغانستان وصولا لمعتقل جوانتانامو، نقلنا "يوسف زيدان"، إلى ثاني محطة من روايته استكمالا مع البر الغربي أين تعرف البطل على "عبدالعال" الذي كان متدينا وموضبا دائما في صلاته، حتى صاروا على مر الزمان صديقه، اضطر "على" لمغادرته إلى السودان لاجتياز امتحانه الجامعي الأخير والأمر الذي جعله ينتقل أكثر هو معرفته بأن كلاب الأمريكان دنسوا الأرض الطاهرة، وقد كانت المرة الأولى التي يسافر فيها بمفرده وهذا دليل على نضجه وقدرته على تحمل مسؤوليته، وصل أخيرا إلى أهله "بالسودان" سالما واسترجع ذكرياته الجميلة معهم ولعل حضن أمه يكون الدواء لدائه وأمان لخوفه الذي لحقه جراء الاستعمار، و قد شبه الكاتب الأم بالأرض الخضراء ليشير إلى العلاقة الحميمة والمقدسة بين الإنسان والطبيعة، حيث تمثل الأم دور الأرض المغذية والمحبة لأبنائها والتي تحظى بالاحترام والاهتمام كما تحظى به الوالدة ، فالأم تحتضن أولادها مثلما تحتضن الأرض الحقول والغابات وتوفر لهم الموارد الضرورية للعيش، فاستخدمها المؤلف ليذكرنا بعظمة الأرض والوطن إذ يجب احترامه كما نحترم أمهاتنا، كما شبه "علي" ب" الصحراوات الشاسعة ليشير إلى قوة وشجاعة الأب، ويمكن أن تكون إشارة على تفضيل الوحدة والعزلة عن العالم الخارجي فالصحراء من القسوة والقلة فهي بيئة جافة وقاسية، تفتقر إلى الماء والنباتات وتكون عرضة لتقلبات المناخ الشديدة، فاستخدم هذا التعبير في سياق الأب ليشير إلى قوته اضطر "علي" أن يغادر "أسوان" بسبب الحر الشديد الذي كانت تواجها المنطقة حسب الكاتب، وانتقل منها "أسوان" إلى كرموز" تحديدا إلى "الإسكندرية" لكن حظه السيء لا يزال يطارده، فبعد أسبوع قرأ عند باعة الصحف أخبارا محزنة عن طائرة أمريكية قصفت الناس في "الصومال" وقتلت خمسين منهم وأسقطوا مروحية عسكرية موسوعة "

[1]– سورة الحجرات، الآية 13.

بالصقر الأسود" وقتلوا من جنودهم قرابة العشرين فاضطر لمغادرة الإسكندرية مرة أخرى إلى "أسوان"، وفي الأول من مارس 1994 قام مجموعة من المسلحين بتفجير مسجد في "حي الثورة" ب "أم درمان"، وأطلقوا النار على المصلين آملين في قتل الشيخ " عبدالغفار" إمام المسجد والشيخ السعودي "أسامة بن لادن" وهذا ما أكده الكاتب: << بعد اسبوع من سكناه الإسكندرية قرأ عند باعة الصحف أخبارا مخزنة عن طائرة أمريكية قصفت الناس في الصومال صبيحة اليوم الثاني من شهر يونيو، وقتلت منهم خمسين، نذكر عبدالعال يأسى ورأى ليلتها في منامه وجوها في الجحيم تصلي وأطفالا يصرخون...>>[1]، فأمريكا لم تدخل بلدا إلا دخل إليه الخراب والدمار ومن يومها صار الناس في "الخرطوم" وأم درمان يعيشون في خوف وفزع أكد لنا "زيدان" بأن أحوال "علي" ساءت أكثر في عام 1997 حين أدرك أن جماعة من الإرهاب قتلوا جميع السائحين القادمين إلى البر العربي << فقد أخبره بأن جماعة من اليهود، أو من أهل الإرهاب احاطوا في التاسعة صباحا بالسائحين القادمين إلى البر الغربي لزيارة الدير البحري، فقتلوهم جميعا...>>[2]، والأمر الذي أخزن "علي" أكثر هو انه لا يستطيع التنقل إلى أي مكان وعجز عن فعل أي شيء، وظل يلوم حظه ويخاطب الرحمان هل ما يحمل معه اختيار أم اختبار، والأرض والسماء والشجر والطير شاهدين أنه كان من الزاهدين، فهذا القهر الذي يعرض له كان مثقلا على المستوى الشخصي والاجتماعي في حد سواء.

لم يتحمل هذا الذل فقرر حجز تذكرة سفر للبحث عن "نورا" لعلها تنسيه ألامه لكن تخبره أحد صديقاتها قد تزوجت من الرجل الليبي، فأمضى يومين قاسيين سجينا في غلافة البنسيون المتسخة شاردا في استرجاع ذكرياته مع محبوبته.

باجتهاد من أمه وجيرانه أوجدوا له وظيفة في الخليج أين تعرف بمديره "فواز" والذي بدوره عرض عليه السفر إلى طشقند حيث السكينة والهدوء ، وراح يتيه في جمال نسائها الرشيقات، في مطلع العام الأول من سنة الألفين عاد من طشقند وتنقل إلى المكان الذي أطلق عليه "زيدان" اسم قندهار أين تلقى خبر عزم زعيم حركة طالبان الأفغانية " الملا عصر" بتدمير تمثالين هائلين بمنطقة بميان الواقعة تحت سلطته لأنهما يصوران "بوذا" المقدس عند غير المسلمين، وتالة الخبار السيئة الواحدة تلو الأخرى إذ توفي إذ توفي السيد "خليفة" وحدث مالا يحمد عقباه:<< في الشهر الثالث من العام،

[1]– يوسف زيدان، محال، ص86

[2]–المرجع نفسه، ص 130.

كان في الشارقة مشغولا بما يشغل معظم الناس في العالم، فقد توالت الأخبار مؤكدة عزم زعيم حركة طالبان تدمير تمثالين..>>[1]، فقتل الألاف من الناس في أمريكا لم يسبق لهم أي ذنب بل راحوا ضحية العملية الإرهابية عندما اصطدمت طائرات عمدا بمبان وأبراج.

انتقل بطل الرواية مع زوجته هذه المرة إلى الدوحة بحثا عن الحرية وفرصة لبدء حياة جديدة وهروبا من الماضي وابتعاد عن الظروف السيئة التي ظلت تلاحقه، وهروبا من الحروب والصراعات المسلحة، وانتقل بعدها بأسبوعين لأوزبكستان ومن ثم لأفغانستان والأفغان رمز للأجانب ورمز للمختلف والغريب، وحسب تصريح الراوي فإنها رمز للعزة بالنفس والافتخار، وبأنها مختلفة المناخ لاختلاف أرضها بين الوهاد والجبال، وليس في مدها بيوت جميلة إلا ب "كابول" العاصمة التي استولت عليها الحروب الدائمة، والأرض الأفغانية قابلة لمختلف أنواع المزروعات لكنها لا تزرع لكثرة الفتن وانعدام مهارة الأهالي، وتعتبر منطقة جغرافية استراتيجية اشتهرت بصراعات ونزاعات داخلية وتدخلات خارجية في العقود الأخيرة وشهدت حربا مستمرة وصراعا مسلحا بين القوات الحكومية الأفغانية والجماعات المتمردة المسلحة، كما تشتهر بفن القصص الجزافية والأدب الشعري والموسيقي والتراث الشعبي الغني لهذا كان لهذه المنطقة تأثيرا كبيرا على الشخصية الروائية وجعلته يتساءل عن سبب استعمار ناحية قاحلة مثل افغانستان حينما قال: << لماذا يهتم الروس، ثم الأمريكيون من بعدهم، بهذه النواحي القاحلة؟ ولماذا لا يتركون الأفغان وشأنهم؟[2]

غادر "علي" مع فريقه إلى باكستان و في <<النقطة الحدودية المقابلة استقبلهم جند الطالبان الحدوديون، العابسون بلا سبب، لا يرتدون الزي الرسمي كسابقهم من جند باكستان، و انما جلابيب فوقها سترات تقييهم من برودة الصباح الباكر ، و على اكتفهم بنادق تتوق الى القتل من نوع المسمى كلاشينكوف>>[3]،و هذا النوع يعد من اخطر الاسلحة النارية الشهيرة و المعروفة بتصميمها المميز و كفاءتها في الميدان، و قد تكون لهذه البنادق و الاسلحة دلالات مختلفة فقد تشيران الى الفكرة العسكرية و الصراح و الحروب بشكل عام و رمز للقوة و القدرة على التحكم و الدفاع عن النفس، و قد يرمزان للثورة و المقاومة حيث يشتهر سلاح كلاشينكوف بدوره في الحروب الاهلية و حركات

[1] – يوسف زيدان، المرجع السابق، ص 196.

[2] –المرجع نفسه، ص 202.

[3] –– يوسف زيدان، المرجع السابق، ص 206.

المقاومة، كما يستخدم للنضال والتحرر من القمع والطمع ولكن في هذه الرواية عكس أنشطة إجرامية وهجمات إرهابية ضخمة.

وضح لنا " زيدان يوسف" الخوف والرهبة اللذان باتا يطاردون "علي" وما عناه من ترهيب وتعذيب فيكفي أنهم أثقلوا يداه ورجلاه بقيود حديدية ثم شبكت بحلقات معدنية التي ترمز إلى الاحتجاز والعبودية لتمثيل القيود وفقدان الحرية في زمن العنصرية والظروف القاسية التي تعترض حرية الفرد، وترمز إلى السيطرة والسلطة التي يمتلكها شخص ما على الآخرين عاد به الجنود الأمريكيون إلى "قندهار" أين عذبوه أقصى درجات العذاب إلى أ، زجوا به في كوبا بسجن جوانتانامو.

جدول خاص بالتقاطبات الدلالية لأمكنة الإقامة والانتقال

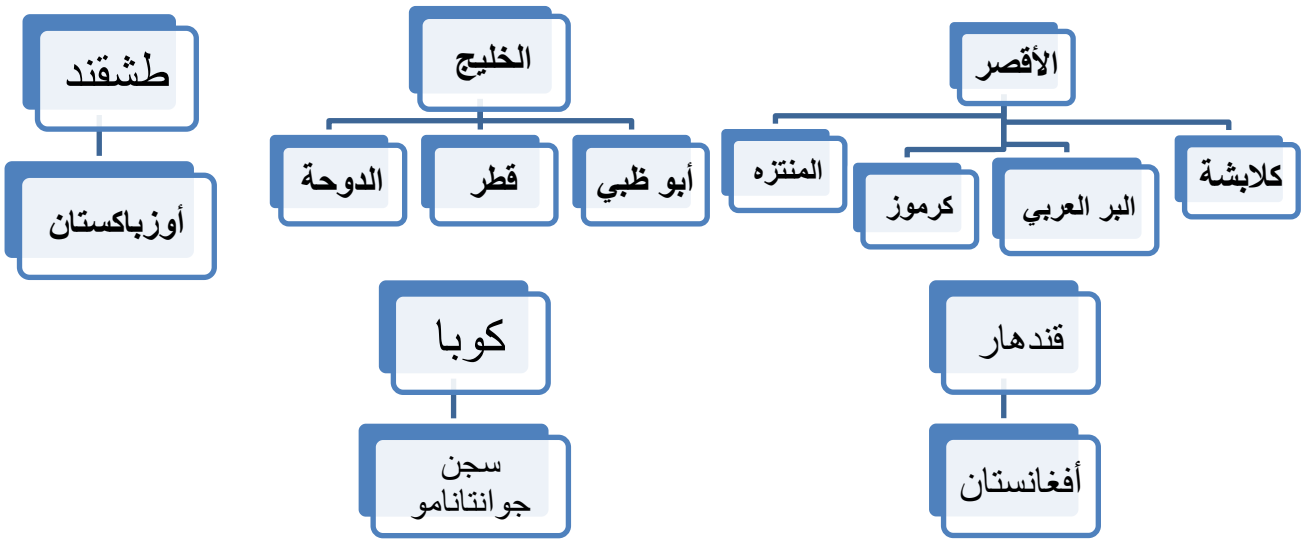

يري "حميد لحميداني" أن << الأمكنة تختلف من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي تتواجد فيها، حيث تخضع تشكيلاتها إلى مقياس مرتبط بالانغلاق والانفتاح ، فالمنزل ليس ميدانا والزنزانة ليست هي الغرفة، لأن الزنزانة ليست مفتوحة دائما على العالم الخارجي بخلاف الغرفة، فهي مفتوحة على المنزل والمنزل على الشارع>>[1].

وانطلاقا من هذا التقديم النظري سنؤسس العملية الإجرائية للمكان في رواية "محال" ليوسف زيدان، فقد أتضح لنا من خلال دراستنا لها أن الأمكنة محملة بدلالات تؤدي وظائف عديدة ومختلفة، تضمنت ثنائية (المغلق والمفتوح) وسنذكر أهم الأماكن التي ذكرها الكاتب أكثر من مرة في عمله هذا:

[1]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ط1، 1990، ص 63.

أولا: الأماكن المغلقة:

1 – **السجن:** إذا كان البيت والغرفة فضاءات شخصية وعائلية، فإن السجن يحمل دلالة سياسية واضحة، فهو ليس مكان انتقال وحركة وإنما مكان إقامة وثبات وهو يمثل رمزا قويا في هذه الرواية، وعليه قال "حسن بحراوي"<< إن السجن الذي أعد أصلا لعزل الإنسان وشل قدراته الخلاقة سيمسي فظاء منتجا ومحفزا على التصحيح وإعداد المناضلين وذلك يحرك من يؤهلونه، والشخص الذي يدخل السجن وليست له معرفة أو تجربة سياسية وسيخرج منه>>[1].

حسب الراوي فإن البطل تعرض لقمع وظلم كبير ورأي الموت بين عينيه << في كل قصف قطف الأرواح، وقد رأى بعد عودتهم إلى البلدة مع الصباح، أرواحا كثيرة قطعت و ألقيت أبدانها قطعا بين الجدران المدمرة، الجثث صارت كأجنحة الفراش المبثوث في نهار "قندهار" فلا شيء في الأنحاء إلا الأشلاء>>[2]، فلم يهدأ بال الأمريكيون إلا أن سجنوه << كان جالسا وحده في الغرفة يشكو الملل، جاءه في المساء الرجل الأفغاني الشبيه بالذئب الجائع، ومعه مترجم، فسألاه عن حاله في الحبس>>[3]، فالسجن رمز لفقدان الحرية وتعدي على حقوق الناس المدنية والسياسية والقيود التي يفرضها النظام القمعي أو المجتمع على الفرد، وهو رمز للتحجيم والقيود التي تمنع الشخص من تحقيق طموحاته وتطوير نفسه وهو رمز للتوبيخ الاجتماعي ويجعل المسجون يحس بالعزلة والوحدة ويجد نفسه محاصرا في بيئة مغلقة، حيث يفتقد الاتصال بالعالم الخارجي وهذا ما حدث تماما مع بطل الروية، إذ تعرض لضربة موجعة فقد أستهدفه الإرهاب لأنه حسب الكاتب كان يمثل خطا عليهم لأنه يعمل ضد الحكومة، فهل الذي يقول شيئا مخالفا ويدافع عن حقوقه يعد مجرما؟ هل الذي يسعى للعيش الكريم يعد جريمة تحاسب عليه الدولة؟ نعم هذا ما حدث مع "علي" فقد انتهكت حقوقه القانونية وهذا ظلم جسيم.

وجدنا أن "زيدان" غلبا ما يستلهم تجربة الاعتقال في المعسكر الأمريكي وهذا لا نجده فقط في روية "محال" بل حتى رواية "جوانتانامو" التي حملت اسم السجن بذاته، وبعد تحليلنا وبحثنا عن سبب كثرة استعماله له وجدنا أن السجن من لأفقر الأمكنة للماديات والموجودات وأحقره للشخصيات، فهو

[1]– يوسف زيدان، محال، ص 213.

[2]– المرجع نفسه، ص 219.

[3]– المرجع نفسه، ص 220.

يجعل الفرد ضعيف الشخصية ويجعله عاجزا، لذا يعتبر السجن مكانا مفضلا للرواية السياسية عامة وللكاتب خاصة إذ يوفر له تجربة فريدة، ومن خلاله يتمكن من استكشاف العواطف والتحولات النفسية التي يمر بها الشخص في ظروف قيود الحرية والعزلة، ويعمل السجن على تعميق الألم وهذه التجربة الصعبة إلى فن، إذ بإمكان المؤلف التعبير عن مشاعره وأفكاره من خلال الكتابة وإنتاج أعمال فنية تلامس القلوب وتحث على التأمل والتغيير.

للسجن عدة عوامل تجعله مكانا للوحدة والقسوة وتفصله عن العلم الخارجي، وقد استنتجنا في هذه الرواية عاملين هما:

1- الظلام:

يرتبط الظلام في كثير من الأجانب بالخوف والرعب، حيث يكون غامضا ومخيفا بحسب عدم القدرة على رؤية ما حولك بوضوح، ويرمز الظلام إلى أشياء مفزعة وغير معروفة، كما يعكس فترات الانتظار والصبر، فعندما تكون ظروف مظلمة يكون على الفرد الانتظار حتى يظهر النور، فقد عكس هذا على "علي" سلبا ورمز بأوقات صعبة في حياته وسبب له اليأس والاكتئاب والاستسلام.

2- الانغلاق:

عادة ما يتم فرض الانغلاق في السجن كعقاب للأفراد الذين ارتكبوا جرائم، حيث تتم مدة الانغلاق وفقا للقانون والنظام القضائي، يتم فيه تقيد حرية الشخص وتختلف ظروفه في السجن من بلد إلى بلد أخر، وهذا ما تعرض له "علي" لقول الكاتب: <<أتفتح عليه الباب الذي صار يومين يغلق عليه من خارجه بقفل كبير من ذلك الذي يغلق باب المبنى إغلاق فوق إغلاق>>[1]، لم نشاهد هذا المنظر لكن لا مراء أنه كان مرعبا، فهل هناك أشد من هذا العقاب، فالموت أرحم من العيش في ذل وعبودية.

3-الطائرة:

[1]- المرجع نفسه، ص 220

تصمم الطائرات عموما لتكون مكانا محكما ومغلقا بغرض توفير بيئة آمنة ومريحة للركاب أثناء رحلاتهما الجوية، وهذا ما شعر به بطل الرواية حينما كان يسوده الهدوء فالطائرة عنده كانت بمثابة متعة لأنه يقوم بعملية استكشاف للبلدان الأخرى، لكن هذا الوضع تغير عندما حلت عليه القمة التي لا يخرج منها، حينما حاصره الإرهاب، فالطائرة الإرهابية هي وسيلة النقل الوحيدة التي لم يتخيل يوما أنه سوف يركبها<< حطت الطائرة ودفعه الحراس للنهوض>>[1]، وبعدما عادوا به إلى "قندهار" عذبوه أشد العذاب وبعدما ظن أنه سوف يعيدوه إلى وطنه إلا أنهم هذه المرة نقلوه ليسجن هذه المرة أسيرا في احد شجون كوبا<< هبطت الطائرة فجلس ينتظر الفرج، لكنهم أخذوه إلى طائرة أخرى، كشفوا عنه عينيه فرأى بحرا يمتد إلى أخر المدى صدق ظنه واعتقد أنهم أخذوه إلى أمريكا لإيداعه بأحد سجونها، لكنه كان مخطئا ففي هذه المرة نقلوه إلى كوبا إلى سجن "جوانتانامو" الرهيب يديره الجيش الأمريكي شرا>>[2].

والطائرة الإرهابية يتم استغلالها كوسيلة لتنفيذ هجوم إرهابي بغية إلحاق الضرر بالمدنيين أو المؤسسات أو الرموز الحكومية وتعتبر هجومات الحادي عشر من سبتمبر خير دليل على هذا، فقد أسفر هذا الهجوم عن خسائر مادية وبشرية فادحة، وهذه الأحداث فتحت مجالا للاهتمام بأمن النقل الجوي والتدابير الأمنية اللازمة لمنع استخدام الطائرات بطريقة غير قانونية وإرهابية ولمنع استدراج أي محاولات قمعية مشابهة في المستقبل.

لهذا نقول أن المكان المغلق منعزل تماما عن ما يجري خارجا إذ يقول عنه "شريف حبيلة" : << إن المكان يكتسب وجوده من خلال أبعاده الهندسية والضيقة التي يقوم بها والأماكن المغلقة هي الأماكن التي تكون عادة محدودة، كذلك المكنة المغلقة هي الأماكن تكون عادة محدودة ، كذلك الأمكنة المغلقة لها دور محوري في الرواية ، وتعد الأمكنة ضمن فضاءات أساسية في الأعمال الإبداعية وهذه الفضاءات هي التي يشكلها الإنسان حسب أفكاره وحسب مرجعتيه الثقافية، كذلك اختيار الشكل الهندسي الذي يناسبه ويناسب تطور عصره، ولهذا ينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح>>[3]، فالمكان مرتبط كل الارتباط بالإنسان وحياته اليومية، والمكان المغلق له أهمية بالغة في الرواية، حيث وضع له الروائي أبعاد جمالية تركها معلقة ليتفاعل مع المتلقي ويكتشفها بنفسه، وعن "فهد حسين" إذ عرف المكان

[1]– يوسف زيدان، روية محال، ص 221.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 244.

[3]– ينظر، د. شريف جبيلة، بنية الخطاب الروائي، (دراسة في رواية نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن، ط1، 2010، ص 244.

المغلق مصرحا:<< هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقي فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية ويبرز الصراع القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدا التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه>>[1]، لإضافة إلى هذين الرأيين يؤكد "مهدي عبيدي" قائلا <<الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كغرف البيوت والقصور فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية ، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد يكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان وقد تكون مصدرا للخوف>>[2].

نستنتج من خلال هذه الآراء أن الأماكن المغلقة هي التي تتميز بالضيق والانغلاق والإنسان الذي يسكن فيها يحس بالكآبة وعدم الطمأنينة وقد تنعكس عليه سلبيا.

4-الغرفة:

إن الغرفة من الأماكن التي تحتوي مستلزمات أصحابها (أي أغراضهم وأفكارهم وكل ما يتعلق بهم) وهو من الأماكن المغلقة التي مهما جرى الحديث عنها ومها قيل عنها في خصائصها لا يستطيع الكشف بنيتها الجمالية، والغرفة عادة مكان يرمز إلى الحياة الداخلية والحماية من العدوان الخارجي.

وفي هذا الصدد يقول "ياسين النصير" هي تقع فوق الأرض تحجب النور وتصنعه، وتجعل لنا لحياتها الصغيرة إمكانية تعويضه عن الفضاء السمع القل والمحدد وانطباع الإنسان بغيره وحاجاته وتعدد أزمته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيه، فالفرق في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها تصبح عطاء للإنسان يدخلها فيصبح جزءا من ملابسه ويدخلها ليرتدي جزءا خر وعندما يألفها يتحرك لجريه أكثر، وإذا اطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها التعري الجسدي والفكري، لكنه عندما يخرج عنها يعيد تماسكه ويبدو كما لو انه خرج تحت خطأ خاص"[3]، ولقد كان في هذه الرواية التي يبين أيدين حضورا لهذا المكان حيث كانت الغرفة ترمز إلى طبيعة الحياة التي يعيشها البطل وعائلته ومثال ذلك في الرواية وصف لنا الروائي

---

[1]- فهد حسين، المكانة في الرواية البحرينية، (دراسة في روايته الجذوة، الحصار، أغنية الماء والنار (فراديس للنشر والتوزيع)، البحرين، ط1، 2003، ص80.

[2]- مهدي عبيدي، جماليات المكان، في ثلاثية حنا مينة)(حكاية البحار- النقل- المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص 43.

[3]- ياسين النصر، الرواية والمكان، ص84

الغرف التي ينزلون فيها من اجل أن يضمن على استقرارهم :<<ارتبك لحظة من دعايتها غير المعتاد، ثم هم بالنزول أمامهم وهو يعلن أمام الباص وسط صخب نزولهم. أنه سيبقى يدخل الفندق ساعة التي أراد الاستفسار عن أي أمر، وسوف يظل في البهو حتى يطمئن على لاستقرارهم في الغرف المخصصة المترفون على الرحلة لهم عرف مفردة، والباقون سوف يسكنون اغرف المزدوجة الواسعة>>[1]،

اما في هذا المثال لقد وصف لنا الروائي في البر العربي الغرفة وحالتها الفوضوية والهرج الذي همد بها، << بعد صعودهم إلى الغرف فهمد الهرج، فسنحت له فرصة صلاة الظهر في رواية البهو اليمنى، حاضرا، ولى وجهه إلى الحائط وظهره إلى جهة النيل وأطال السجود في الركعة الخيرة ولسان قلبه يلهج بالدعاء ...لا إلاه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين>>[2].

ومن هنا نرى أن البطل رغم ذلك الهرج الذي كان في الغرفة إلا وأن أتيحت له الفرصة بأداء صلاته، وقال أيضا ف هذا الصدد: <<استأذنت منه الشرقة وصعدت إلى غرفتها، بعدما أخبرها بأن موضعي للاستقبال يعرفون موضع منزله، إذا احتاجت إليه لأي امر>>[3].

أما منذ عودة عبد العالي من السفر وصف لنا حالة أهله وكيف كانت ردتهم والفرحة الظاهرة على وجههم ومثال على ذلك ، << كانت أمه تكلم أباه بجفوت مثل القدامى الصدقاء، وهما جالسان في صالة البيت المهوج عليها الغرف الأربعة>>[4]، هنا بين لنا الروائي مدى تأثره عندما رأى أهله وكذلك وصف لنا فرحته وفرحة أهله الذين كانوا ينتظرون عودته من السفر بفرغ الصبر.

أما في هذا المثال فوصف البطل سيحته وفرحته مثل الطفال الصغار الذين يفرحون بليلة العيد أم عند اقتراب موعد العيد بالفرحة والسرور بذلك اليوم، << في غرضته النصف بوجهه الابتسامة وهو ينظر في جربة السقف بفرحة الصغار ليلة العيد>>[5].

فمثل الغرفة في الرواية مكان لبطل عبد العالي الذي يشعر فيه بارتياح وراحة البال بعيدا عن متاعب يومه أو مشاغله. أي الغرفة مكان لراحة البطل.

---

[1]– يوسف زيدان، روية محال، ص 29.

[2]– يوسف زيدان، روية محال، ص 31.

[3]– المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[4]–المصدر نفسه، ص 49.

[5]–المصدر نفسه، ص 43 .

5- الفندق:

يعتبر الفندق من اماكن السكن المؤقتة، كما يمكن اعتباره مكان مغلق في معظم الروايات العربية، لأن الناس تسكن فيه وهو في شكل غرف ويمكن اعتباره مكان مفتوح وذلك بسبب أنه يحتوي على مكان منفتح لأنه يجمع مختلف الجناس الذين يلجؤون إليه عند الحاجة والضرورة.

وهذا ما تبين في رواية "محال" حيث يقول << في طريقهم إلى فندق قريب، أمسك الميكروفون وراح يعيد على مسامعهم ما يحفظه، ونحن الأن على الجانب الشرقي من النيل إلى الشمال قيلا من خزان اسوان، إذا ينظرن يمينا فسوف نرى الجزر المليئة بالآثار والمحميات الطبيعية>>[1]، هنا نرى ان الروائي يصف لنا ما يحيط بالجانب الشرقي، وما يقابلها من الآثار.

كما استعمل الروائي كلمة الفندق في عدة مواقف، فقد يكون الفندق مكان للترويج عن النفس والراحة والسياحة، فيقول في ذلك :<< في طريقه إلى الفندق استعمل سمات المساء المفرحة، وهو يطالع وجوه المارة ولا يراها لشرود خواطرها>>[2]، ونقول في هذا الصدد: أنه لم يصادف أحد منهم في حديقة الفندق المترصنة فيها المقاعد حول الطاولات، استعداد لاستقبال الزبائن>>[3] ، هنا يصف لنا الأشياء الموجودة في حديقة الفندق، التي كانت مهيأة لاستقبال الزبائن من مقاعد وطاولات، ويقول في موضع أخر من الرواية لما كان ينتظرها امام الفندق، << وقف أمام الفندق ساعة عساها أن تخرج لأي أمر فلم يراها، وفي العاشرة من الصباح اليوم الأخر عرف من موظف الاستقبال أنهم خرجوا جميعا منذ الصباح الباكر للتجول ، إلا المشرفة بقيت في غرفتها، دار ملهوفا على الشوارع كلها وبعدما أعياه عاد إلى الفندق وجلس في البهو وحده>>[4]،

إن دلالة الفندق في هذه الوراية هي عبارة عن الملجأ الذي يلجا إليه البطل سواء من اجل المكث فيه أو للراحة أو الترويج عن النفس، كما كان للفندق نورا كبير في الرواية (مكان إقامة غير دائم).

---

[1]- يوسف زيدان، رواية محال، ص 28.

[2]-- المصدر نفسه، ص33.

[3]-- المصدر نفسه، ص34

[4]-المصدر نفسه. ص44.

ثانيا: الأماكن المفتوحة:

1- المدينة:

تلعب المدينة دورا هاما في تعزيز الأحداث الروائية، فهي ليست مجرد خافية أو مكان للأحداث، بل تعكس جوانب مختلفة من الشخصية وتؤثر على تصرفاتها وتطورها، فيمكن أن تحتوي المدينة على تناقضات داخلية وخارجية إذ يمكن تكون مزدحمة وصاخبة وفي الوقت نفسه تختص أماكن هادئة ومنعزلة، فقد تعكس تضاربا داخليا في شخصية الشخصية، لكن تبقى المكان الذي ينتمي إليه الفرد ويمكن أن يتم تعزيز الشعور بالانتماء والهوية من خلال الروابط الاجتماعية والعلاقات التي تنشأ فيها.

ونلاحظ أن "يوسف" قام بعملية إسقاط هذه القيمة في روايته حين وصف لنا مدينة مصر وأم درمان أين تعيش أمه وبدأ في ذكر محاسنها لما لها من خيرات فالحياة فيها: << أهدأ من الخرطوم، وأرخص، وأنسب للأم والأبناء الغار، أم درمان هي الجانب الأفقر من الخرطوم، والأطيب، مع أن كلا الجانبين طيب وفقير>>[1] .

من خلال أحداث الرواية أتضح لنا بأن "علي" أحب وطنه ومدينته إلى درجة التقديس، لكن هذا لم يدم، لأن البد الذي ظل يدافع عنه ويكرس حياته من أجل سلامته بعدته عنه الظروف، ليخيب أمله وتزداد معاناته، وتشعل جمرة الأحزان وتتمرد على واقعه ويظهر إلى الانتقال من مدينة إلى مدينة ويصبح غريبا عن أهله.

<< التمرد على المدينة يصبح حاصلا ، وتبرر عنة أصوات منها تلك التي طحنتها المآسي، وعانت مرارة الواقع المدني وطففت تنشد المراثي للعالم، وترتل أنعام الخزن وتنشأ عندها مركبا نقص محواه أن العالم فاسد وأن الواقع مرير لا يمكن إصلاحه>>[2] فهي << مجموعة من المسافات>>[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 11.

[2] - قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، دمشق، د ط، 2001، ص 126.

[3] - ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد أنطونيوس، بيروت، ط1، 1987، ص47.

"وزيدان" أتخذ من خطابه السردي، نمطا وصفيا تفاعل مع رويته ونقل لنا المكان بصورة واقعية جعلتنا نعيش معه لحظة الكتابة، ومهما كانت أسباب ترك المدينة إلا أنها نصب فيها في مجرى واحد، وتهدف إلى غاية واحدة وهي مهاجمة الواقع بقصد إصلاحه.

I-2- الشوارع والطرقات:

للشارع دلالة مهمة في الأدب، ويعكس جوانب مختلفة في القصة أو الرواية، إذ يضم عدة مرافق كالمقاهي والمحلات والصالونات، وهو << فضاء مفتوح ومحصور في الوقت نفسه >>[1]، تعتبر الشوارع رمز للمغامرة والرحلة في العديد من الأعمال الأدبية، فالطرق السرية والمختبئات والمفترقات تمثل حدودا أو فواصل بين الأماكن والأشخاص، فتنفصل بين الطبقات الاجتماعية أو الثقافات، وقد تعكس العقبات والصعوبات التي يواجهها الشخص في التواصل والتفاعل مع الآخرين، وهناك شوارع مظلمة ترتبط دلالتها بالغموض والتوتر والخطر، وتمثل الأضواء المتلاشية في الشوارع اللحظات الحرجة والمشاعر السلبية مثل الخوف والشك والتهديد، ولقد كان الشارع منطقة سوداء للبطل ففيه نهبت أرواح العديد من الناس وقتلوا من طرف الإرهابيين << أحاطوا في التاسعة صباحا بالسائحين القادمين إلى البر الغربي لزيارة الدير البحري، فقتلوهم جميعا ورموا جثثهم صفا، ثم قلعوا من وجوه قتلاهم العيون، وقطعوا منهم الأذان أنداء النساء وبقية الأطراف>>[2]، فبعدما كانت الطرقات تمثل "لعلي" أماكن الهدوء والسكينة والحب والرومانسية، صارت محل للأحزان والاكتئاب والرعب فقد <<تدمر من قذارة الطرق والأسواق في الخرطوم وأم درمان>>[3] ، وكان الشارع منطقة تترامى فيها معسكرات الجيش والعمليات الإرهابية وإطلاق الرصاص والبنادق والقنابل ومكانا للاعتقالات البريئة، فالبقاء في البيت أعظم من مشاهدة تلك المناظر.

فالشوارع ليست دائما مستقرة فهي قابلة للانقلابات في كل زمان ومكان لذلك لم يصبح لها أي معنى.

المكان المفتوح هو الذي يميز الانفتاح على العالم ألخارجي وهو غير محدود إما أن يكون حيز صغير أو كبير، أو متحرك، هو المكان الذي يتميز بالنشاط والحيوية والحركة والديناميكية ويعطي طاقة

---

[1] -جيرارد حبيب، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم غزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب ، د ط، 2002، ص 139.

[2] - يوسف زيدان، رواية محال، ص 130.

[3] - المصدر نفسه، ص 133.

إيجابية للإنسان الذي يقطن فيه، وفي هذا الصدد يقول الدكتور "شريف جبيلة": << تتخذ الروايات في عمومها أماكن منفتحة على الطبيعة، تأطر بها للأحداث مكانيا، حيث تخضع هذه المكنة لاختلاف بفرصة الزمن المتحكم في شكاها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى فالحي في عمالقة الشمال ليس هو الحي في قاتل حمزة، وكذا المدينة، ويمكن حصر الأماكن التي كان لها حضور كثيف في الروايات الثلاثية، الطرق، الأحياء، القرية، والمدينة>>[1]، فرق المفكرين المكان المفتوح عن المكان المغلق كما فرق الله السماء عن الأرض، فالمكان المفتوح ميزه الباحثين بانفتاحه على الطبيعة الواسعة والمساحة الشاسعة التي أنعمها الله تعالى في قوله:<< والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون>>[2]، وعليه قال الناقد "حسن بحراوي": وتعتبر الأحياء والشوارع أماكن انتقال ومرور، إذ سوف نشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا عندما تغادر أماكن إقامتها وتمدنا دراسة هذه الفضاءات المبثوثة هنا وهناك في الحنين الروائي مادة غزيرة وفريدة من نوعها من صور ومفاهيم تساعدنا على تحديد السعات والسمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات والتمسك بكل ما هو جوهري وسحري>>[3].

فالمكان المفتوح هو الذي يساهم في الكشف عن بيئة العمال الأدبية سواءً أكانت قصة أم رواية أم مسرحية، يساهم في تطور الشخصيات وتحركها.

ثالثا: علاقة المكان بالشخصية:

لقد سبق أن تعرفنا على مفهوم المكان واهميته ودوره في العمل الروائي من خلال تعريف النقاد لهطا المكون السردي، ونظرا لهذه المكانة التي يحظى بها المكان نجد انه يتفاعل مع كل عناصر البناء الروائي، أي أن هناك علاقة وطيدة تربطه باللغة وبالمضمون والزمان وبالشخصية وهذا ما ساهم في بناء المكان لأنه الإطار الذي تتحرك فيه كدلك تتحرك فيه كما هو يؤثر فيها أي أن التأثير بين المكان والشخصية متبادل وهذا ما وجدناه في الأمكنة المفتوحة والمغلقة والعلاقة بينهما.

---

[1] – شريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، (دراسة في رواية نجيب الكيلاني)، عالم الحديث، أزيد– الأردن، ط 1، 2010، ص 244.

[2] – سورة الحجر، الآية 19.

[3] – بنظر، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 73.

المكان والشخصية علاقة جدلية ويشير يوسف زيدان لهذه العلاقة قائلا: << المكان هو عن فاعل في الشخصية الروائية، يأخذ منها ويعطيها فالشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطبعه فيظهر أثاره في طابع السكان والشخصية التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها ويتجلى أثار ذلك في سلوكها أيضا، كما يؤثر المكان في السكان، فإن السكان أيضا يؤثرون في المكان بعلاقة جدلية>>[1]

كذلك المكان يترك بصمة على الشخوص وكذلك تترك أثرا في المكان وهذا ما لاحظناه في رواية "محال"، أي أن المكان والشخصية عنصران بارزان وأساسيان وهما من أبنية السرد لها أهمية كبيرة في تشكل أعمال ادبية خاصة الرواية التي لا نستطيع من دونها كما لا نستطيع تخيل أحداثها بعيدا عن القالب المكاني، كما لا تخلو أي روية من عنصر المكان باعتباره البنية الأساسية في البناء السردي واعتبارها عنصر فعال في تطور أحداث الرواية وكذلك تفعل شخصياتها.

كما يعتبر المكان الرقعة الجغرافية الذي يعيش فيه وتتحرك الشخصيات وهذا ما اكده "حسن بحلاوي" في قوله: << أن المكان يبدو كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدوس حيث نشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف على الأخر>>[2] .

<< فالشخصية تعكس لنا أبعاد المكان وتكشف عن أثار المكان وأثارها في هذا المكان أي أن الشخصيات تضفي على المكان دلالات مجازية يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجه فيه المؤلف الذي يحقق ايضا منظوره الفلسفي والجمالي من جانب ومنضور أبطاله الإيديولوجي والفلسفي من جانب أخر>>[3].

ونحن نلاحظ أن شخصية الروائي في رواية "محال" أي أنه ينتقل من بلد إلى بلد أخر وكان هذا الانتقال لأغراض وأهداف متعددة مثل: مواصلة تعليمه وغبته بالزواج من فتاة نوبية متوكية ، وهذا ما جعله ينتقل في كل مرة إلا أن البطل في الأخير ينتهي الأمر به بالسجن من دون أن يرتكب أي ذنب وبالتالي نتوصل إلى ان العلاقة بين المكان والشخصية علاقة تلازم واتصال لا يمكن الفصل بينهما لأن بتفاعلهما تقع الحداث.

[1] – محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، د. ط ، دمشق، 2005، ص 70.

[2] – حسن بحراي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، 29

[3] –مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، د ط، دمشق، 2011، ص 188.

أما في الرواية المدروسة "محال" فالروائي كان له طريقة مميزة في توظيف الشخصيات المتعددة بتعدد اماكنها وتنوعها

لقد أولى الروائي عناية خاصة لعلاقة الشخصيات بالأماكن باعتمادها على خياله وإبداعه المميز. ويظهر ذلك عند قول الرواية: << بدت لهما أبراج قصور ترتفع فوق قمم الشجر وتلامس السماء، أخبرته "نورا" بأنها مباني ملكية كان يعيش فيها مالك مصر المخلوع بثروت الضباط الأحرار، جدا، جلس بجوار القصر الكبير المشرف من فوق ربوة خضراء على البحر القريب الحالي المحيط بالمكان كالحارس>> [1] .

ويقول أيضا: << عند حواف الشطآن والخلجان رأى موج الماء يضرب الصخور الراسخة برقة ومحبة، فكأنه يدعوها بعناق مستحيل>> [2]

المبحث الثالث: انسحاق الشخصية بين سطوة السياسة واستبداد الراوي:

الشخصية من أهم العناصر الحكائية المكونة للأعمال الأدبية سواء أكانت (روية، قصة قصيرة أو مسرحية) ، إذ ستساهم في تشكيل بنية النص وتساعد على تحقيق الترابط والتسلسل من فكرة لأخرى ومن فقرة لأخرى لكونها المثال الذي ينجز الأفعال، وقد تسنى هذه الأخيرة بناء يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي ، وتستخدم في الأعمال لتمثيل وتجسيد الإفراد والشخصيات المختلفة المشاركة عي العمل الإبداعي وتتنوع فيما بينها وتتألف من شخصيات رئيسية، ثانوية ومساعدة، تساعد في تطور الحبكة الروائية وتحريك الأحداث، فقد يستلهم الكاتب الشخصيات من الواقع المحيط به، أو يقتبسها من خلفيته المعرفية وخبرته الفنية، أو يخلفها من نبع خياله لتعبير عن أفكاره ومشاعره المكبوتة.

فالشخصية الحكائية هي العمود والركيزة التي يبني عليها العمل الأدبي ف << لقد لعبت الشخصية دورا فعالا في القرن التاسع عشر خاصة لدى النقاد، حيث كان دور اختزال وإبراز مميزات الطبقة الاجتماعية والتصعيد من قيمة الفرد وأهمية الفاعل في المجتمع>>[3]، لهذا أولى الروائيون اهتماما

---

[1] – يوسف زيدان، رواية محال، ص 67.

[2] – – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، (د ط)، (د س)، ص 34.

عظيما لم يسبق له مثيل، وتعتبر الشخصية من أكثر العناصر غموضا وتعقيدا، إذ تتباين درجاتها من رواية إلى رواية.

فرواية "محال" نموذجا لإسحاق الشخصية وضياع الهوية وسلب الحرية، ومثالا حيا لصرخة الديمقراطية الظالمة والنظام الفاسد والتعسفي الذي يركض وراء مصالحه حفاظا لمكانته وناكرا شعبه، قبل ذكر أهم التجارب والأحداث التي مر بها البطل، نتوقف قليلا على مصطلح "انسحاق الشخصية"

هو مصطلح أدبي يستخدم لوصف عملية تطور الشخصية الروائية من حالة استثنائية معينة إلى حالة أخرى عبر سلسلة من الإحداث الشخصية وسلوكها ومدى استجابتها للأحداث، وقد يكون هذا الانكسار جزءا ضروريا من جاذبية الرواية، ويتيح الفرصة للملتقي لمشاهدة تطور الشخصية عبر الزمن ، وهو وسيلة يستخدمها الروائي لتمرير رسالته للقارئ ويجعله يتفاعل معها.

لاحظنا أثناء تحليلنا واستقراءنا لرواية "محال" ل "يوسف زيدان" أن الطابع السياسي قد طغى على كل أحداث الرواية، فالبطل تعرض لسطوة سياسية قوية وضربة قاسية أثر في شخصيته وسلوكه، فالقوة والضغط السياسي لم يمنح له المجال للتصرف واتخاذ قرارات في سياق الرواية، وقد تكون السلطة دورا هاما في تشكيل الشخصية وتحولاتها، فالبطل في روية "محال" كان معلقا بين نارين، وكان مضطربا بين التناقضات والتحديات التي واجهته في بيئة سياسية معية، كان محتارا بين الوفاء لإرشادات الدولة أم الحفاظ على مبادئه وكرامته التي تربى عليها وسط عائلته، فهو شاب كان حلمه بسيط جدا، وقد تكون الشخصية عاني صراعا داخليا عميقا.

هذا المفهوم يعكس تأثيرات السلطة على شعبها وتحولاته، والبطل في هذه الرواية لم يكن ذلك المثال الذي يضحي ويقاوم في سبيل حريته وعيسه الكريم بل روحه عكست شخصية ضعيفة وهشة، تعرض لانهزامه من طرف جاسوس أمريكي مكر به وغدره واستسلم للدولة حيث انتهى الأمر في سجن "جوانتانامو" الكوبي.

إن ظلم واحتقار الدولة قد يكون أمر مألوف ومعروف، لكن الشيء الغريب في هذه الرواية أن الكاتب لم يقدم يد المعروف للبطل ولم يساعده للخروج من هذا الظلام بل أغلق كل أبواب النور في وجهه ودار له بظهره وقام باستبعاده، لكون الراوي أكثر الأفراد تعلقا بالنص واستغل مقولة " يجوز للكاتب ما لا يجوز لغيره" وسيطر على كل الأحداث التي جرت في الرواية، فالراوي يمتلك السلطة المطلقة في فهم

الشخصيات وتقديم التجارب، فلم يقدم للشخصية حرية للتعبير وتقرير مصيرها ومستقبلها، فقد سيطر على عملية السرد وقدم وجهات نظر خاصة وتعليقات شخصية تطابقتا مع أفكاره، وقام بتشويه صورة البطل بطريقة غير مشروعة وكانت حادة جعله ضعيفا أمام القارئ، وأقل قدرا من الوجود الذاتي إذا استبداد الراوي للشخصية الحكائية لا يعتبر ظلما في حق البطل فقط بل يكون ظلما لنا نحن كقراء إذ نحس بعدم واقعية القصة ويجعلنا نفهمها بوجهة نظره هو وليس لوجهة نظرنا نحن كمشروع باحثين ويتم إغفال آراءنا وافكار بديلة قد تكون إيجابية، فالاستبداد ظاهرة غير مرغوبة في الاعمال الروائية وهذا ما جعلنا نتعاطف مع الشخصية وتمنينا لو كان له رأي وسيطرة، فالراوي استقدم نقطة منظورية فردية، إذ تسلط على الشخصية الحكائية وقضى عليه.

ملحوظة:

قد يكون للسطوة السياسية دور فعال في الروية فتجعل القارئ يتفاعل مع النص كما تساعد الروائي في اكتشاف التحديات التي يوجهها المجتمع من ظلم وذل ويحاول إصلاحها ومعالجتها.

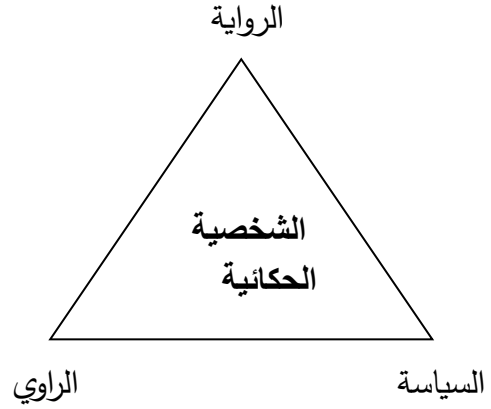

خاتمة

بتوفيق من الرحمان، وتوجيهات من المشرف، تمكنا من إكمال هذا العمل، وبما أن الخاتمة هي آخر محطة نقف عندها، أردنا ان تكون عبارة عن حوصلة مختصرة صنعناها في النطاق التالية:

- عدت الرواية السياسية أداة أدبية قوية وسالح يستخدم لاستكشاف وتحليل والتحولات السياسة الحادثة فيا في المجتمعات, كما يتميز هذا النوع من الروايات بقدرته في تسليط الضوء على قضايا حساسة تحلل من خلال القصة الأدبية المؤثرة, وتنقل رسائل و افكار تتعلق بالحكم والقوة و الحرية و العدالة.
- اعتبرت ثلاثية "زيدان" بمثابة اضافة هامة , اذا ساهمت المرجعية الزمانية و المكانية في فهم وتوضيح احداث الرواية اكثر دقة , حيث استخدم المؤلف المرجعية المكانية لتوضيح البيئات التي تجري فيها القصة مما يساعد المتلقي على تخيل الاماكن ولفت انتباهه الى التفاصيل الدقيقة, ففي هذه الرواية سافرنا الى اكثر من مكان، بداية من "بكلابشة" وصولا إلى " كجوانتانامو" مما ساعد من إنشاء جو من اللبس والغموض والإثارة، واستخدم المرجعية الزمانية باعتبار العنصر الذي ينبني عليه الحدث ويساعد في بناء التشويق وإيصال المشاعر والمعاني للقارئ، وبواسطة الزمن يتمكن الراوي من العودة إلى الماضي لكشف أسرار مهمة قد قد تؤثر على الحاضر، كما يمكنه القفز إلى المستقبل لإظهار تبعات القرارات الحالية.
- عدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بمثابة نقطة تحول تاريخه في العالم وبدية الصراع من أجل رد النار على العدو، إذ تسببت في تغيرات هائلة في السياسة العلمية.
- أثرت هجومات 11 سبتمبر على الشخصية الحكائية مما جعله يعيش حالة من الصدمة وواضح أنه لم يستطع أن يتأقلم مع الوضع ولم يكيف مع هذه المأساة.
- أن صرخة الكاتب " يوسف زيدان" في رواية "محال" لها تأثير أكبر من كل تلك الخطط والاستراتيجيات في الوعي الشعبي الجماعي والفردي، فروايته سخط على المستدمر وكأنه تصوير منه للقارئ لكل ترصيدات السلطة التي تقمع كل من يقول أو يفعل شيء مخالفا لها، ف "زيدان" لم يستطع التعبير بلسانه لذا قرر أن يرفع قلمه ليعبر بحروفه الأبجدية عن كتبه الجوهر الثمين المخبئ في داخله.

خاتمة

- لاحظنا من خلال تحليلنا للرواية أن المؤلف رصد المغامرات إلى نسج عوالم تخيلية يتقاطع فيها ما هو جمالي وما هو واقعي وتتفاعل فيه السياسة والتاريخ وغيرها.
- لاحظنا أن الكاتب فضح الممارسات السياسية التي عملت على إخفاء الحقائق وعبر بلسان كل مظلوم.
- الرواية لا تجاري التاريخ لأن هذا ليس من هواجسها لكنها تستند إلى المادة السياسية لتدفع بها إلى استنطاق مالم يستطع التاريخ قوله.
- الرواية لا تصور الحقيقة السياسية، بل تجسد شخصيات ومواقف ورؤى مختلفة بالتركيز على الأحداث المهمشة خاصة أصوات الطبقات المقموعة والمفجوعة.
- تجسد المكان كعنصر حيوي ومؤثر في سرد القصة وتطور الشخصيات وعدا أكثر من مجرد خلفية جغرافية فارغة، بل أخذ طبوغرافية ميزته عن غيره من العناصر، فالمكان في رواية "محال" اتسم بالاتساق والانسجام إذ ركز المؤلف على الأوضاع والتحولات التي واجهت المجتمع في فترة العشرية السوداء المستصعبة التي عكست تموضع هذا العنصر، فتشكلات المكان تنبع من تفاعلات معقدة بين السياسة والمجتمع، ف" زيدان" حقق ما يسمى "بيوليفية" الأمكنة وشكل ثنائية اندرجت بين المكان (المغلق والمفتوح) وجعل لكل منهما دلالته الخاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

1) القرآن الكريم.

2) يوسف زيدان، محال، دار الشروق للنشر، مصر، القاهرة ، ط.1، 2012.

ثانيا- المراجع:

أ- المراجع العربية:

1) إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر،(د ط)،(د س).

2) أحمد مرشد، البنيه والدلالة في رواية إبراهيم نصرالله، المؤسس العربية، بيروت، ط:2.

3) بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، دار الكتب الوطنية، ط1، سنة 2004.

4) -جميل حمداوي، سيموطبقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر، ط2، 2020.

5) -حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط 1، سنة 1990، بيروت.

6) حميد لحميداني، بنية النص السردي(من منضور النقد الأوربي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة1، آ ب، بيروت،سنة 1991،بيروت.

7) خليل حسين، ذرائع الإرهاب الدولي، بيروت- لبنان، ط1، 2012.

8) سعاد عبد الله العنزي، (صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة.

9) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- سرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3.

10)سمر روحي الفيصل، الفضاء الروائي المضاد، مجلة الاستهلال، ج1، سوريا، نوفمبر 2011.

11)سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، القاهرة، (د. ط)، س 1978.

12)شادية شقرور، سيمائية الخطاب الشعري(في ديوان مقام البوح الشعبي عبدالله)، عالم الكتب الحديث للنشر، مصر، 1994.

13)الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي(دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، أربد- الأردن،(ط1)، سنة 2010.

14)عبد الصمد زيدان، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي، تونس، د. ط، 2003.

15)-عبدالمالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار المعرفة، ديسمبر 1998.

16)علي الدميني، قلق القوس والكتابة (قراءات نقدية)، جمعية الثقافة والفنون، الدمام،)، ط1،2017.

17)فريدة إبراهيم بن موسى، زمن المحنة في سرد الكتابة الجزائرية(دراسة نقدية)، دار النشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012.

18)فهد حسين، المكانة في الرواية البحرينية، (دراسة في روايته الجذوة، الحصار، أغنية الماء والنار (فراديس للنشر والتوزيع)، البحرين، ط1، 2003.

19)قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، دمشق، د ط، 2001.

20)محمد عبدالمطلب الخشن، تعريف الإرهاب الدولي بين الاعتبارات السياسية والاعتبارات الموضوعية ، دار الجامعة الجديدة للنشر، سنة 2013.

21)محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، 2005.

22)-مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سنة 2011.

23)نعيم عطية، دلالة الزمن في الرواية الحديثة(ع 170)، فبرير 1971.

24)ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العمة، العراق، بغداد، (الموسوعة المصغرة 190)، د.ط، سنة 1986.

ب- المراجع المترجمة:

1) ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد أنطونيوس، بيروت، ط1، 1987.

2) –جيرار جنيت، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم غزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء– المغرب ، د ط، 2002.
3) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، ط2، سنة 1984، بيروت.
4) ب.ك.و. ديفيس، أستاذ الرياضيات الطبيعية، ترجمة د. أدهم الشتمان، ط1، بيروت، سنة 1977.
5) يوري لوتمان ، المكان الفني، تقديم وترجمة سيرا قاسم، مجلة عيون، العدد 8، المقالات، سنة 1987.

ج– المجلات والمقالات:

1) خليل حسين، ذرائع الإرهاب الدولي وحروب الشرق الأوسط الجديد، ط1. سنة 2012.
2) عبد الكريم فليو، 11سبنمبر بداية الحرب الباردة الثانية،(أحداث على الأرض والصراع من أجل البقاء).(د.ع).(د.س).
3) عبد اللطيف بوروبي، ماهية الإرهاب، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة، الجزائر، د ط.
4) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مقوماته، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية ، ع2، المجلة 11، سنة 2011.
5) محمود عبدالرحمان خلف، م. م. وسام خليل ابراهيم، السياسة الأجنبية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، العدد 48، جامعة بغداد.
6) وليد حسين محمد، الحرب العالمية على الإرهاب (التدخل الدولي في العراق أنموذجا)، المجلة السياسية والدولية، (د.ع)، (د، س).

د– الرابط الإليكروني:

[1]–جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل الروائي، شوهد يوم 2023/02/24 على الساعة 13:45 وعلى الموقع: www.diwanalarab.com.

ملحق03:

ترجمة بعض المصطلحات التي تناولها البحث إلى اللغة الإنجليزية:

The political movel	الرواية السياسية
The events of September 11th	أحداث 11 سبتمبر
Terrorism	الإرهاب
time	الزمان
Localisation	الموقع
The real Place	المكان الواقعي
Imaginary place	المكان المتخيل
Open place	المكان المفتوح
Close place	المكان المغلق
Character	الشخصية
places of residence	اماكن أقامة
Transfer Places	أماكن الانتقال
The power of politics	سطوة السياسة
Tyranny of the narrator	استبداد الراوي

الفهرس

شكر وعرفان .....

الإهداء .....

مقدمة: 5.4.3.2.1

الفصل الأول

عن علاقة الرواية السياسية

المبحث الأول: حول مفهوم السياسة. 5

أولا: إشكالية الرواية السياسية 10

المبحث الثاني: المرجعية الزمانية والمكانية لثلاثية زيدان.11

أولا: العتبة المعتمة لبداية القرن 21/ العالم ما قبل وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001. .28

ثانيا: الإرهاب والحرب على الإرهاب. 34

المبحث الثالث: المكان بين الواقع والتخيل الروائي. 40

أولا: تعريف المكان والمصطلحات المجاورة له. 41

ثانيا: المكان مكونا للسرد الروائي. 48

ثالثا: خصائص المكان في السرد الروائي.....49

الفهرس

الفصل الثاني

تأثير السياسة في تشكلات المكان ورمزيته في رواية "محال"

المبحث الأول: دلالة عنوان الرواية/ العناوين الفرعية..... 54

أولا: حول العنوان الرئيسي.....54

ثانيا: حول العبارة الاستهلالية.....57

المبحث الثاني: أماكن الإقامة والانتقال بين القهر والحرية..... 63

أولا: أماكن مغلقة. 71

ثانيا: أماكن مفتوحة.....81

ثالثا: علاقة المكان بالشخصية 86

المبحث الثالث: انسحاق الشخصية بين سطوة السياسة واستبداد الراوي.....89

خاتمة: 94

قائمة المراجع والمصادر:..... 98

الملاحق: 103

التوصيات:..... 108

ملخص

ملخص

يؤثر البعد السياسي بشكل كبير على المكان وتشكلاته ، وذلك من خلال العلاقات والممارسات الدولية التي تنظم الحكم والسلطة في المجتمعات ، وتتنوع هذه النظم من الديمقراطية إلى الاستبداد ، فغالبا ما تستهدف الدولة منطقة معينة لما لها من ثروة سواءً من موقعها الجغرافي ، تضاريسها ، مناخها وغيرها من العوامل ، كذلك تؤثر السياسة على حركة الهجرة والتوطين حيث تتحكم في توزيع السكان ف المجتمعات والمناطق وتتحكم في ظروف إقامتهم تارة وانتقالهم تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

السياسة، الإرهاب، المكان، القهر، الحرية.

Abstract:

The political dimension has a significant impact on places and their formations, through international relations and practices that regulate governance and authority in societies. These systems vary from democracy to tyranny, and often the state targets a specific region due to its wealth, whether it's its geographic location, terrain, climate, or other factors.

Consequently, politics affects migration and settlement patterns as the distribution of populations in communities and regions is controlled. This creates a kind of equilibrium that encourages them to reside in certain areas, while at other times; it creates an imbalance that drives them to move elsewhere.